محور https://doi.org/10.68724/OUM-2026-13-FA-001

مفهومُ الثّورةِ عند الإمام الشهيد الخامنئيّ قُدِّسَ سِرُّهُ

■ د. أحمد ماجد[1]

ملخّص

عَمِل البحث على مفهوم الثورة عند الإمام (الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّهُ، واشتغل ضمن خطة منهجيّة تؤدي في نهاية الأمر إلى حلّ الإشكاليّة التي يعمل عليها. وقد راعى أن يكون تقسيم العناوين ضمن أسس تخدم الهدفيّة منه، لذلك بدأ بمدخل ذي طبيعة مفاهيميّة، عالج الأبعاد اللغويّة والاصطلاحيّة. والهدف من هذا توضيحيّ، ثم انتقل للحديث عن حركيّة المفهوم في العالم الإسلامي، حيث عمل على رصد وصوله وآليّة التعامل معه، ليصل إلى العنوان الثالث وهو الثورة عند الإمام (الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّهُ، حيث عرّف مفهوم الثورة لديه وقارنه بالفكر الغربي، فأظهر خصوصيته وأركانه، ومن خلال هذه المقارنة أظهر فرادة الرؤية لدى الإمام. وختم البحث كلامه بقراءة سوسيو-سياسيّة للمصطلح، وختم الكلام بخاتمة أظهرت النتائج التي توصل إليها البحث.

الكلمات المفتاحية: الإمام الخامنئي، الثورة، إيران، العالم الإسلامي، الحاكميّة، الحريّة، العدالة.

١ - باحث لبناني في معهد المعارف الحكميّة للدراسات الدينيّة والفلسفيّة في بيروت.

Concept of Revolution According to the Martyr-Imam Khamenei

■ Dr. Ahmad Majed[1]

Abstract

The research focused on the concept of revolution according to Imam Khamenei (QS), and he worked within a methodological plan that would ultimately lead to solving the problem he was working on. He took into account that the division of titles should be based on principles that serve its purpose, so he began with an approach of a conceptual nature that addressed the linguistic and terminological dimensions. The purpose of this is clarification. After that, he moved on to talk about the movement of the concept in the Islamic world, where he worked to monitor its arrival and the mechanism of dealing with it, arriving at the third title, which is the revolution according to Imam Khamenei (QS). He defined his concept of revolution and compared it to Western thought. Therefore, he showed its specificity and its pillars, and through this comparison, he showed the uniqueness of the Imam's vision. The research concluded with a socio-political reading of the term, and concluded with a conclusion that showed the results reached by the research.

Keywords: Imam Khamenei, Revolution, Iran, the Islamic World, Sovereignty, Freedom, Justice.

1 - A Lebanese researcher at Al-Ma'arif al-Hikmiyya Institute for Religious and Philosophical Studies in Beirut.

المقدمة:

يحمل مفهوم «الثورة» في بنيته الكثير من المحمولات المختلفة الناتجة عن استخداماته، فهو، وإن بدا واضحًا لا يحتاج إلى تعريف، ولكن عند الاقتراب منه نقع على كمّ هائل من التناقضات التي تصل إلى حدّ الافتراق والتضارب في المعاني، وهذا ما يجعل معالجة هذا المفهوم من الأمور الهامة؛ لأنها تفتح الباب أمام مقاربات جديدة لكثير من المفاهيم المشابهة التي اعتاد العقل على التعامل معها ببساطة باعتبارها من المسلّمات الواضحة، في حين أنّها تحمل في طياتها التباسات كبيرة تحتاج إلى مراجعة وتدقيق للوصول إلى رؤية واضحة حولها.

فمفهوم "الثورة" من المفاهيم الإشكاليّة التي تحتاج إلى مراجعة وتدقيق، شأنه شأن كثير من المفاهيم الوافدة؛ وذلك بسبب طبيعته المرتبطة بالظروف التي أسهمت في توليده، والتي أدت إلى تحديد ما يتضمنه نتيجة التداخل بين اللغة والعلوم والتطورات التاريخيّة التي مرت بها عمليّة تشكّله، وهذا ما يجعل عمليّة نقله من لغة إلى أخرى تحتاج إلى كثير من التأني، فكل مفهوم نشأ في بيئة محددة لا يمكن نقله إلى بيئات أخرى دون إجراء تعديلات عليه في البيئات الوافد عليها، لذلك، عند نقله، لا بد من رصد كيفيّة حضوره وحركيته الدلاليّة. وهذا ما نلحظه

في مفهــوم الثــورة، فهو عندما وفد إلى المجتمعات الإســلاميّة، جرى التعامــل معه انطلاقًا من خصوصيّة المجتمع الإســلامي، الذي يحتوي حقلاً دلاليًا خاصًّــا فيه الكثير من المفاهيم التي تقارب مفهوم الثورة مثل: الخروج، والفتنــة، والانتفاضة، والحراك، والعصيان، والتمرد. ولكل واحد من هذه المفاهيم دلالته الخاصة وحدوده المميزة، الأمر الذي يقتضي التساؤل عن موقع مفهوم "الثورة" بينها، وعن الفروق التي تميّزه عنها، وهذا ما يطرح سؤالًا عن إمكانيّة استخدامه والمعنى الذي سيحمله. فالجانب اللفظيّ يطرح إشكاليّة المعنى، فما هو المقصود بالثورة؟ هل هو ذلك الســائد في الأدبيات السياســيّة المعاصرة في الغرب أم أنّنا أمام معنى آخر؟ يزداد الأمر إلحاحًا عند متابعة حركيته في المجتمعات المضيفة له، حيث يُظهر التطبيق تشتتًا كبيرًا، وأفهامًا متعددة، بُنيت على أرضيته مواقف، ما يستدعي العمل على دراسته وتوضيح تطوره.

على أرضيّة ما ســبق، ســيعمل هذا البحث على متابعة هذا المفهوم في بيئته الخاصة، وينظر إلى كيفيّــة ولادته، وكيفيّة تبلوره مفاهيميًا، ولكن لن يســتغرق في الكلام في هذه النقطة، لينتقل إلى معالجته داخل العالم الإســلامي. ولكننا لن نأخذه من خلال حضوره الكلي، إنّما سنكتفي بالمثقف الإسلاميّ الذي يتبنّى الإســلام كمنظومة فكريّة تُبنى على أساسها المفاهيم، وسنأخذ الإمام (علي الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّه مثالاً، ننطلــق من خلاله لإظهار هذا المفهوم وحركيته، وهذا ما يؤمّن لنا رؤية متكاملة، ويبعدنا عن التشتت.

وإذا أردنا أن نحدد إشــكاليّة البحث ســنعالج النقطة التالية: كيف نظّر الإســلاميون لمفهوم "الثــورة" من خــلال عرض رؤية الإمام (الخامنئــي) قُدِّس سرّه له؟ ويتفرع عن هذه الإشــكاليّة الرئيســة إشــكاليات ثانويّة، هي: هل تقبّل الإســلاميون هذا المفهوم؟ هل أخذوه كما طُبّق في الحضارة الغربيّة؟ ومــا هي خصوصيته في التنظير والتطبيق الإســلامي؟ ولماذا يجب أن نأخذ الإمام (الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّه كنقطة وصول؟ وهل هناك خصوصيّة له؟

انطلق البحث، في معالجة هذه الإشكاليّة، من مجموعة من الأسئلة الافتراضيّة، هي: ما مفهوم الثورة؟ هل له مرجعيّة في النصوص الإسلاميّة؟ كيف نشأ في الفكر الغربي؟ لماذا حضر في الفكر

الإسلامي؟ كيف تعامل معه المثقف المسلم؟ هل تقبّله كما هو أو أدخل عليه تحويرات تتناسب مع بنيته الذهنيّة؟ كيف نُظر إليه؟ ما دور الثورة الإسلاميّة في إيران في بلورة فهم جديد له؟ وما أثر الإمام (الخامنئي) قدّس سرّه في هذا المجال؟ وغيرها من الأسئلة الافتراضية، التي سيعمل هذا البحث على الإجابة عنها.

ومن أجل ذلك، سيلجأ البحث إلى تعدديّة منهجيّة، فهو سيستخدم المنهج التاريخي لِمَا لهذا المنهج من دورٍ في موضعة المفهوم ضمن سياق واضح، يتيح المجال أمام القارئ لفهم التعريف ضمن سياق زمني. واستخدم أيضًا البحث المنهج الوصفي ولا سيما تحليل المضمون، وهذا الأمر سيظهر بشكل واضح عند مقاربة مفهوم الثورة عند الإمام (الخامنئي). سيظهر في البحث أيضًا المنهج المقارن، الذي جرى اللجوء إليه لإظهار خصوصيّة الإسلام في معالجة مفهوم الثورة.

أولًا: مدخل مفاهيمي:

تتبّع المفاهيم على مستوى اللغة ضروري لفهمها، خاصة عند ارتباطها بقضايا إنسانيّة. لذلك سنبدأ هذا الفصل بتحليل مفهوم الثورة على المستوى اللغوي والاصطلاحيّ قبل الانتقال لعرض حركة المفهوم في الحقول المعرفيّة.

١ - الأصل الاشتقاقي لمفهوم الثورة:

الثورة من ثار، يقال: ثار الشيء ثورًا وثؤورًا وثورانًا، وورد عند (ابن منظور): «ثار بمعنى: هاج [...] وثورة الغضب: حدته. والثائر: الغضبان [...] والمثاورة: المواثبة، [...و] رأيت فلانًا ثائر الرأس إذا رأيته قد اشعانّ شعره أي: انتشر وتفرق [..] وفي الحديث: فرأيت الماء يثور من بين أصابعه أي: ينبع بقوة وشدة»[1]. وأورد صاحب (المصباح المنير في غريب الشرح الكبير) معانيَ

١ - ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص ص٥٤-٥٥، مادة: ثار.

قريبة من (ابن منظـور) وأضاف إليها معانيَ جديدة في قوله: «أَثَـارُوا الْأَرْضَ عَمَرُوهَا بِالْفلاَحَة وَالزِّرَاعَـة. وَالثَّوْرُ الذَّكَـرُ مِنْ الْبَقَر وَالْأُنْثَى ثَوْرَةٌ وَالْجَمْعُ ثِيرَانٌ وَأَثْـوَارٌ [...] وَثَوْرُ الْمَاء الطُّحْلُبُ وَقِيلَ كُلُّ مَا عَلاَ الْمَاءَ مِنْ غُثَاء وَنَحْوِه يَضْرِبُهُ الرَّاعِي لِيَصْفُوَ لِلْبَقَرِ فَهُوَ ثَوْرٌ. وَالثَّأْرُ الذَّحْلُ بِالْهَمْزِ وَيَجُوزُ تَخْفِيفُهُ يُقَالُ ثَأَرْتُ الْقَتِيلَ وَثَأَرْتُ بِهِ مِنْ بَابِ نَفَعَ إذَا قَتَلْتُ قَاتِلَهُ»[1]، وهذا المعنى الأخير هو الذي أشـار إليه صاحب (القاموس المحيط) بقولـه: «الثأر الدم والطلب به وفي الجمع آثار والاسم منها ثورة والثائر هو من لا يبقي عليه شيء حتى يدرك ثأره ويفعله»[2].

يلاحظ المتابع للمعجميّة اللغويّة العربيّة أنّ فعل «ثار» مال باتجاه البعد الانفعالي، وهو يشير إلى حركة عشوائيّة ومضطربة، يظهر ذلك من خلال الدلالات التالية:

- **الهياج والغضب:** الانتقال من حالة طبيعيّة إلى أخرى انفعاليّة.
- **المواثبة:** التي تشير إلى القفز على الشيء.
- **الانتشار والتفرق:** وهو ما يتجلى من خلال شعر الرأس.

وهذه الدلالات تُغيّب الفعل القصدي والإرادي للإنسـان، وتُظهر الثورة وكأنّها ردة فعل على أمر حدث، استلزم القيام بحركة مواجهة. وتشير المعاني إلى حركة وانتقال من حالة إلى أخرى، ومعظمها يُظهر عدم الاسـتقرار أو الفوضى، وهو ما عبرّ عنـه (ابن خلدون) في (المقدّمة) حين قال: «وقد وقع هذا لابن قِسيّ شيخ الصُّوفيّة، وصاحب كتاب: «خَلْعِ النعلين في التصوف». ثار بالأندلس داعيًا إلى الحقِّ وسُـمِّي أصحابه بالمرابطين قُبيل دعوة «المهديّ»، فاسـتتبَّ له الأمر قليلاً لِشُغل لمتونة، بما دهمهم من أمر الموحِّدين، ولم تكن هناك عصائب ولا قبائل يدفعونه عن شأنه، فلم يلبث حين استولى الموحِّدون على المغرب أن أذعن لهم، ودخل في دعوتهم وتابعهم من معقله بحصن «أركش»، وأمكنهم من ثغره وكان أوَّل داعيّة لهم بالأندلس، وكانت ثورته تسمَّى

١ - أحمد الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ص ص٨٧-٨٨.

٢ - محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص٣٥٥،)باب الراء/ فصل الثاء).

ثورة المرابطين»[1]. و(ابن خلدون) عندما استخدم لفظ «الثورة» ربط بينه وبين «ثورة ابن قسّي» في الأندلس، وما رافقها من غليان شعبيّ، ما يؤشّر إلى حالة انفعاليّة، لا إلى فعل إرادي موجّه نحو التغيير، وهذا ما يُظهره قوله: «كانت ثورته تُسمّى ثورة المرابطين، ومن هذا الباب أحوال الثوار القائمين بتغيير المنكَر من العامة والفقهاء، فإنّ كثيراً من المنتحلين للعبادة وسلوك طرق الدين، يذهبون إلى القيام على أهل الجور من الأمراء، داعين إلى تغيير المنكَر والنهي عنه، والأمر بالمعروف رجاءً في الثواب عليه من الله، فيكثر أتباعهم والمتلثلثون بهم من الغوغاء والدهماء، ويعرّضون أنفسهم في ذلك للمهالك، وأكثرهم يهلكون في هذا السبيل مأزورين غير مأجورين، لأن الله سبحانه لم يكتب ذلك عليهم، وإنّما أمر به حيث تكون القدرة عليه [...] وأحوال الملوك والدول راسخة قويّة لا يزحزحها ويهدم بناءها إلا المطالبة القويّة التي من ورائها عصبية القبائل والعشائر»[2]. فـ(ابن خلدون)، كما نرى، يرفض حركة الثورة، لأنّها تعبرّ عن انفعال لا إرادة ونظر فيه، ويرى القائمين بها مأزورين لأنّهم يخالفون قانون العصبيّة، الذي يفترض وجود القدرة على تحقيق مطالبها. بالتالي، لم يُستخدم مفهوم «الثورة» مع (ابن خلدون) للإشارة إلى عملٍ إيجابي، يسعى إلى إجراء تغييرات جذريّة في المجتمع، إنّما أشار إلى حالة ذات طبيعة انفعاليّة مصيرها الفشل، وهذا ما يتفق مع الدلالات اللغويّة التي أشرنا إليها سابقًا.

يضعنا الكلام السابق أمام واقع يفترض العمل على الحفر في اللغة للوصول إلى مسوّغ يسمح باستخدام اللفظ للإشارة إلى عمل إيجابيّ، يُمكن أن يُحمل عليه المعنى الجديد، وهذا ما نجده في دلالتين -غالبًا ما يجري تهميشهما في التراث الإسلاميّ- إحداهما ترتبط بعمارة الأرض عبر الزراعة، والأخرى تتعلق بنموّ الموجود، حيث ورد، فيما يتعلق بالجانب الثاني، أمران:

- **الأول:** يتمثل في تثوير الطحالب، الذي يؤدي إلى أمر نافع من خلال تغذّي الثيران

١ - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، ج١، ص٤٧٤.
٢ - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، ج١، ص٤٧٤.

عليه، وفي هذا الموضع تكون عبارةً عن عمل يؤدي إلى نتيجة مفيدة.

- **الثاني:** وهو ما أشار إليه (لسان العرب) من خلال الحديث عن التثوير باعتباره ضرب الثور من أجل شرب الماء فتلحقه الأبقار، فتقوم بالعمل نفسه. والمعاني التي أشرنا إليها والمستفادة من المعجميّة العربيّة، قد تكون مفيدة في بناء المفهوم عندما يُنظر إليها في إطار الحركة العامة للمجتمعات الإنسانيّة، التي تبدأ عمليّة تطورها عبر المرور بالمرحلة الزراعيّة.

نستنتج ممّا سبق إمكانيّة قبول اللغة لمعنى الثورة وطابعها التغييري، وذلك عند كلام بعض اللغويين عنها باعتبارها عمليّة منظمة، توصل إلى بناء حضارة انطلاقًا من المرحلة الزراعيّة.

يؤشر الكلام السابق إلى أنّ مفهوم "الثورة" بإمكانه أن يستوعب رؤيتين، وهو ليس بالضرورة إشارة إلى عمل ذي طبيعة عنفيّة وغير منظمة، وإن كان الاستخدام الأوليّ ذهب بهذا الاتجاه، فهو بإمكانه أن يستوعب المعنى المتعلق بالتحوّل الإيجابي، الذي يسعى إلى تجديد البنى القائمة، ولعلّ هذا ما حفز على استخدامه لوصف الحركات الاجتماعيّة الساعية للتغيير، وهذا ما يمنحه المشروعيّة في الاستخدام.

٢ - مصطلح الثورة في الغرب:

استخدم لفظ (revolution) للتعبير عن الثورة، وهي مشتقة من الكلمة اللاتينيّة (Revolution) التي استُعملت من أجل وصف الحركة في منحنًى مغلق حول محور أو نقطة، حقيقيّة أو متخيلة، تتوافق نقطة رجوعها مع نقطة البداية. وهو الحركة المداريّة لجرم سماوي يمرّ بالنقطة نفسها على فترات منتظمة[1]. ولقد أورد (كوبرنيكوس - COPERNICUS) (١٤٧٣-١٥٤٣) اللفظ حينما

١ - - انظر الرابط:

https://www.cnrtl.fr/definition/r%C3%A9volution

لاحظ تغيّر حركة النجوم غير الاعتياديّة فوصفها بالثورة[1]، وهذا التوصيف الذي قام به، أدى إلى تحوّل على مستوى فكري، تمثّل في نقطتين أساسيتين:

أ. تغيير الرؤية التقليديّة، التي كانت تنظر إلى الأرض باعتبارها مركز الكون، وهي تقدست بحلول السيد (المسيح) فيها، إلى أخرى جديدة؛ مؤداها أنّ الأرض كوكب عادي، يدور حول الشمس.

ب. الانتقال من الرؤية القائمة على أسبقيّة الرؤية الدينيّة إلى أخرى، تقوم على التجريب والملاحظة.

وهذا ما جعل بعض المفكرين ينظرون إلى هذه المقاربة العلميّة باعتبارها إشارة إلى عمليّة تحوّل في التفكير، إذ يمكن استخدام لفظة للتعبير عن كلّ حركة، تعمل على إجراء تعديلات جذريّة في حياة الإنسان السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة، والغاية من استخدامه إظهار أنّ أشكال الحكومة هي دورة، تشكل فيها الثورة نهاية لبداية جديدة، وهذا ما أشارت إليه (حنا أرندت) إلى أنّ أصل الثورة الحركة الدائريّة للنجوم، وهي لا تشير إلى العنف بقدر ما تشير إلى أنها حركة دائريّة متكررة لا دخل للبشر فيها[2]. وهي عندما لجأت إلى هذا التعريف كانت تريد أن تبني عليه تحليلاً للثورة باعتبارها عندما تصل إلى نهايتها تكون عند نقطة البداية.

بناءً على ما سبق، استُخدم مفهوم الثورة لأول مرة في الحياة السياسيّة في القرن السابع عشر؛ ليصف ما يحدث بين البشر من أحداث كبيرة جرت عام (١٦٦٠م) بعد الإطاحة بالبرلمان الرديف وبمناسبة إعادة الملكيّة في إنجلترا عام (١٦٨٨م) حين جرى طرد أسرة (ستيوارت) ونُقلت السلطة إلى (وليام أورنج-William Orange)[3] و(ماري الثانية-Marie II

1 - https://www.cnrtl.fr/definition/r%C3%A9volution

٢ - حنة أرندت: في الثورة، ص٥٧.

٣ - (وليم أورنج) (ويليام الثالث) هو ملك إنجلترا وإسكتلندا وأيرلندا (منذ عام ١٦٨٩ حتى وفاته عام ١٧٠٢)، وكان قبل ذلك الحاكم الأعلى لجمهوريّة هولندا .

d'Angleterre) ابنة (جيمس الثاني-James II)[1]، وهي ما أطلق عليها اسم «الثورة المجيدة»[2] و«الثورة البيضاء». فالثورة استُخدمت هنا لوصف بداية جديدة لإنجلترا مع تحوّل السلطة من أسرة إلى أخرى. وهذا الاستخدام هو استخدام مجازي للّغة، جرى تثبيته في اللغات الأوروبيّة، ليُظهر الثورة باعتبارها البديل الجديد، الذي يحلّ مكان القديم؛ أي إنّه بداية جديدة للنظام السياسي. وهذا المجاز الذي استُخدم لوصف هذا التحوّل أُسمي ثورة، وانتقل اللفظ إلى اللغات الأخرى، فأصبح كلّ تحوّل يُطلق عليه اسم ثورة. وهو لم يكتفِ بالتحوّلات السياسيّة، إنّما انتقل للكلام عن كلّ تحوّل يؤدي إلى ولادة واقع جديد. من هنا ظهرت ألفاظ كالثورة الصناعيّة، وثورة الاتصالات، وثورة الأخلاق. وفي هذا المجال، يورد كتاب (المصطلحات السياسيّة) التعريف التالي: «كلمة ثورة، تشير إلى تغيير عميق وعامّ في البنى الاجتماعيّة لبلد ما. وعادة ما تكون مصحوبة بحركات شعبيّة، وغالبًا ما تنطوي على استخدام العنف، فالثورة هي تقنيّة للاستيلاء على السلطة (مثل الثورة السياسيّة في فرنسا عام ١٨٤٨) والتي قد تؤدي إلى إرساء نظام اجتماعي جديد (١٧٨٩ في فرنسا، و١٩١٧ في روسيا)... وعلى سبيل التوسع، يشير مصطلح «ثورة» إلى أي تحول كبير في مجال معيّن مثل: الثورة الصناعيّة، الثورة الخضراء، ثورة العادات والتقاليد»[3].

نستنتج ممّا سبق أنّ الثورة تحوّلٌ يؤدي إلى ولادة نظام جديد أو بداية جديدة، وهي تُحدث تحوّلًا عميقًا ودائمًا في المؤسسات، وهذا ما نلاحظه في الثورة الصناعيّة، التي أعلنت عن انتقال الاقتصاد من المرحلة الحرفيّة واليدويّة إلى المرحلة الصناعيّة، بفضل الآلات الكبيرة وتعدين

١ - (ماري الثانية) (Mary II) هي الابنة الكبرى للملك البريطاني الكاثوليكي جيمس الثاني من زوجته الأولى (آن هايد). عاشت بين عامي (١٦٦٢-١٦٩٤)، وتكمن أهميتها التاريخيّة في أنها حكمت إنجلترا وإسكتلندا وأيرلندا حكمًا مشتركًا مع زوجها (وليم أورنج).

٢ - ابتسام محمود: الثورة المجيدة ١٦٨٨ وأثرها على الأوضاع السياسيّة والاقتصادية في بريطانيا، ص١٢٤.

3 - Charles Debbash & Yves Dauder: Lexique de politique,pp365-366.

الفحم في الفترة الممتدة من منتصف القرن الثامن عشر في إنجلترا وبداية القرن التاسع عشر في أوروبا القاريّة.

نصل إلى القول: يشير مفهوم الثورة إلى حركة ينتج عنها تحوّل في البنى الأساسيّة للمجتمعات. وهذا اللفظ انتقل إلى المجال السياسيّ ومنه إلى سائر المجالات الحياتيّة والإنسانيّة، وهو يحمل في طياته بعدًا قسريًا، لأنّه يرتبط بقوانين عامة تحكمه، كلّما مرت بها المجتمعات اتجهت إليه. وهذا القسر، وإن كان في بدايته يدلّ على النظام الكوني، الذي يسير طبقًا لسنن كونيّة ثابتة، إلا أنّه بعد (كوبرنيكوس) تحوّل المحور فيه من الله إلى الإنسان، وأصبح الحراك ذا بُعد تاريخيّ، يتعلق بانقضاء مرحلة ودخول مرحلة جديدة. بالتالي، الثورة في اللغات الأوروبيّة تحمل في طياتها رؤية كلّيّة للإنسان، تفترض عمليّة تحوّل في البنى، وهي تقوم دائمًا بإجراء قطائع معرفيّة مع السابق، وتؤسس لواقع جديد.

ثانيًا: حركيّة المفهوم في العالم الإسلامي:

دخل مصطلح الثورة إلى العالم الإسلاميّ منذ القرن التاسع عشر، ولكن جرى الخلط بين "الثورة" و"الانقلاب"، وفي هذا المجال أورد (روحي الخالدي) أنّ معظم الناطقين باللغة العربيّة لا يعرفون التفريق بين "الثورة والانقلاب"، وقال: "وهذا الاستخدام، الانقلاب، في اصطلاح المؤرخين، تغيير مهمّ في حكومة الدولة وقلب في قوانينها، وهو غير الثورة التي بمعنى العصيان والخروج عن الطاعة والقيام على الحكومة المشروعة. والفرق بين الانقلاب والثورة كبير؛ فإنّ الثورة كثير ما تضرّ بمنافع الأمة ومصالحها وتصدّها عن السير في طريق النجاح، بخلاف الانقلاب، فإنه مهما آلم الأمة ورضرضها فهو يخطو بها خطوة في نهج التقدم، ويصعد بها درجة في سلّم النجاح، وأكثر كُتَّاب العربيّة لا يفرقون بين الكلمتين، فيطلقون اسم الثورة على الانقلاب، فيقولون: الثورة الفرنسيّة، مثلاً، بدل الانقلاب الفرنسي، ولم يلتفتوا إلى ما رُوي عن لويس السادس عشر ملك فرنسا لمّا أُخبِر بهدم قلعة (الباستيل la Bastille)،

وإطلاق المسجونين فيها، فقال: إذن هذه ثورة (Revolte) فأجابه المخبر: عفوًا يا مولاي، بل هذا انقلاب(Revolution) "[1].

نستنتج من كلمات (الخالدي) أن الثورة مجرد هياج شعبي يترافق مع أعمال العنف التي قد تؤدي إلى تحوّلات في السلطة أو قد تقف عند هذا الأمر، وهي غير مرتبطة بفترة زمنيّة محددة، في حين أنّ الانقلاب هو تحوّل سريع يحمل في طياته تغيير النظام السياسيّ. وهذا ما استدعى أن تُستخدم كلمة "انقلاب" في الأدبيات الفارسيّة والتركيّة بديلاً عن الثورة، نظرًا لكون الانقلاب يستهدف تغيير البُنى، وإجراء تعديلات في النظام العام للدولة، وهو ما نلحظ مفاعيله من خلال التحولات التي شهدتها السلطنة العثمانيّة وبلاد فارس، والتي عملت على إجراء تحوّلات في البنى السياسيّة والاقتصاديّة، ولكنّها كانت تتأبى تغيير السلطة السياسيّة الحاكمة، فالعقل الإسلامي كان يرى الخروج على السلطة أمرًا شائنًا، بالتالي فكلّ حركة يجب أن تكتفي بتعديل البنى دون المسّ بأصل الحاكم، وهذا ما أدى إلى استخدام كلمة انقلاب.

هذا التحديد المفاهيمي للغة، والذي أوضح أنّ الثورة لها تشكل خاص، يدفع باتجاه طرح مجموعة من الأسئلة، منها: كيف تمّ تعامل المثقف الإسلاميّ مع هذا المفهوم؟ هل أقره بالطريقة التي أُقر بها أم أنّ هناك تعديلات قد أُدخلت عليه؟ هذا ما سيعالَج من خلال عرض مفهوم الثورة عند الإمام (الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّه.

ثالثًا: الثورة عند الإمام (الخامنئي):

يحتلّ مفهوم الثورة مساحة كبيرة في الكلمات المفتاحيّة عند الإمام (الخامنئي)، فهو يشكل قاعدة مركزيّة في البنية الفكريّة لديه، لذلك نراه يُدخله في جميع المجالات السياسيّة والاقتصادية والاجتماعيّة. وهذا ليس غريبًا لأنّ الثورة لديه مبنية على أسس قرآنيّة وفكريّة وعقائديّة، تكاد

١ - روحي الخالدي: الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة، ص١١.

تصل إلى حدِّ الترادف مع الإسلام في بعض الأحيان، لا سيما عندما تصل الثورة إلى مرحلة بناء الحضارة.

١ - تعريف الثورة:

كـما رأينا، لم يعرِف مفهوم الثـورة رواجًا كبيرًا في الفكر الإسـلاميّ، حيث وقف العديد من المصلحين الإسـلاميين موقفًا وجلاً أمامه، وشـككوا في إمكانيّة نجاحـه، خاصة في ظلّ تربية دينيّـة وثقافيّة، ترفـض الخروج على الحاكم السـياسي، وتعتبر أنّ مسـؤوليّة المُصْلِح عامة هو إجراء تعديـلات على بنية النظام القائم مع الحفاظ عليه، لذلك لم يتقبل المفكر المسـلم فكرة الثـورة. ويمكننا أن نلحظ في هذا المجال تأخر ظهور المصطلـح إلى النصف الثاني من القرن التاسـع عشر، حيث بدأت بعـض الأصوات تنادي بالثـورة، وهذا ما نجده عنـد (جمال الدين الأفغاني) عندما اسـتخدم المفهوم لوصف الثوار الأرمن بمواجهة السلطنة العثمانيّة[١]. ثم نجد هذا المفهوم يتوسع مع (عبد الرحمن الكواكبي)[٢]. ويؤشرّ كلام (الكواكبي) إلى أنّ الثورة حركة تنطلـق من ذاتيّة الأمـة، يقوم بها أصحاب النفوس الكبيرة، الّذين آثـروا التضحية بكلّ شيء من أجـل مصالح الأمة. ولا يعتبر (الكواكبي) أنّ الثورة مجرد عمليّة انفعاليّة، إنما هي فعلٌ واعٍ، يمر بمراحل متعددة[٣]. ولعلّ هذا ما يجعل الثورة أقرب إلى حركة سياسيّة، تُطالب بالإصلاح ضمن الهيـاكل السياسـيّة الموجودة، وهذا ما عبرّ عنـه (النائيني) في كتاب (تنبيه الأمـة وتنزيه الملة) عندما قال: «وفي هذه البرهة من الزمن حيث وصل السير التراجعي إلى نقطته الأخيرة بحمد الله وحسن تأييده، وانقضى عهد الذلّ والخضوع لإرادة الحكام الجائرين، وتصرّمت سِنُو الاسترقاق، وعرفوا مقتضيات دينهم ومذهبهم، وذلك بفضل الدور الذي لعبه الزعماء الدينيون في إرشادهم

١ - جمال الدين الأفغاني، العروة الوثقى، ص٢٧٢.
٢ - جمال الدين الأفغاني، العروة الوثقى، ص١٥٤.
٣ - جمال الدين الأفغاني، العروة الوثقى، ص١٨٥.

وهدايتهم، فعلم المسلمون أنّ الحريّة التي منحها الله سبحانه لهم تصطدم مع الرّقيّة لفراعنة الأمة، واستأنسوا بالحقوق المشروعة، كالمساواة والمشاركة في جميع الأمور مع الحكام [...] إنّ صدور الأحكام من علماء الإسلام في النجف الأشرف؛ والتي تنصّ على وجوب تحقيق هذا المشروع المقدس، وتعقيب مشيخة الإسلام في إسطنبول -التي تمثل مرجعيّة أهل السنة- بفتوى تنصّ على براءة الساحة المقدسة للدين الإسلاميّ الحنيف من الأحكام الجائرة المخالفة لضرورة العقل النزيه والمستقل لحجة ظاهرة قطعت لسان المعيبين»[1]. بهذا المعنى فإنّ الثورة دعوة إسلاميّة، يحركها الوعي، ولكنّها لا تسعى إلى إيجاد بديل عن السائد، وهي تهدف إلى رفع الاستبداد والجور عن الأمة.

وهذه التعريفات للثورة، لفتت نظر الإمام (الخامنئي)، حيث اعتبرها قاصرة عن إجراء التحوّل المطلوب منها، لأنّها تكتفي بطرح الإشكاليّة، ولكنّها لا تسعى إلى فعل يواكبها، يجعل التغيير ممكنًا، لذلك نراه يقول: «نجد المصلحين الإسلاميين والمفكرين، الّذين ثاروا في المئة وخمسين سنة الأخيرة بدوافع متعدّدة، وحملوا لواء الدولة الإسلاميّة وإحياء الفكر الإسلاميّ -من أمثال السيّد جمال الدين ومحمّد إقبال وآخرين- اكتفوا بدعوة إسلاميّة بدلاً من إشعال ثورة إسلاميّة؛ فأرادوا إصلاح المجتمعات المسلمة بالسعي الفكريّ وباستخدام القلم واللسان لا بالقوة والقدرة الثوريّة»[2]، ما يعني أنّ الثورة، بالنسبة له، ليست عبارة عن تنظير ثوري، يدعو إلى إصلاح الواقع، إنّما هي فعلٌ ثوري، يعمل على الانقلاب والتجديد في المؤسسات القائمة، فالتنظير للثورة: «[و] حال صحّته وبراءته من العيوب السياسيّة والنفسانيّة، فإنّه يستطيع تشكيل أرضيّة ثوريّة لا أكثر»[3]، أي إنّ هناك فارقًا بين الثورة كمحرك للتاريخ والإصلاح الثوري. فالأول لا يتعدى كونه

١ - محمد حسين النائيني، تنبيه الأمة وتنزيه الملة، ترجمة: عبد الكريم آل نجف، ص ص٩٥-٩٦.
٢ - الإمام الخامنئي في الذكرى السنويّة الأولى لرحيل الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّه في ٦ ذي القعدة ١٤١٠ هـ.
٣ - الإمام الخامنئي في الذكرى السنويّة الأولى لرحيل الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّه في ٦ ذي القعدة ١٤١٠ هـ.

فعلاً دعويًا بينما الثاني عمليّة متكاملة تؤدي إلى تغيير في البنى.

كـما رأينا الإمام (الخامنئـي) ينحو بالمفهوم نحو الحركيّة الإسـلاميّة، التي تعمل على إنهاء المؤسسـات السياسيّة القائمة واستبدال أخرى جديدة بها، فالثورة بالنسبة له لا يجب أن تتوقف عند دور الداعية الذي يتحدث عن المشاكل، إنّما يتعداه نحو العمل على التغيير. ويعتبر الإمام أنّ هذا الدعويّ: «لم يسـتطع على الإطلاق أن يوقف الحركة المعاكسة والمتّجهة نحو انحطاط الشعوب المسلمة، أو أن يُرجع للمسلمين العزة والعظمة [...] بل إنّ هذا السعي لم يتمكّن حتى من تقوية عقيدة الجماهير المسلمة وتسخير طاقاتها لخدمة الهدف الكبير أو من توسيع المساحة الجغرافيّة الإسلاميّة»[1]. فالإمام يرى أنّ الثورة لا يمكن أن تُؤتي ثمارها إلا إذا كانت حركة شبيهة بحركة النبوة التي تربط بين الدعوة إلى التغيير والسعي إليه، هي مشروع سياسي متكامل، يمكن القول إنّها: «تحوّل أسـاسي قائم على سلسـلة من القيم، فضلاً عن كونهـا حركة تقدّميّة؛ تطال الأركان السياسيّة والاقتصاديّة والثقافيّة للمجتمع»[2].

نصل من خلال الكلام السـابق إلى أنّ الثورة لسـيت مجرد حركة ذات طبيعة لفظيّة، إنّما هي فعل إراديّ غائيّ، يحمل في طياته رؤية متكاملة للحياة. فهي فعل واعٍ قصديّ، تهدف إلى إيصال الإنسان إلى كمالاته من خلال اقتران الاعتقاد بالعمل، فهي ليست أمرًا نظريًا، يتحدث عنه الناس في صالوناتهم الفكريّة، إنّما واقع وحركة. يقول الإمام: «الثورة ليسـت أمرًا فكريًا ومثاليًا، وإنّما هي أمر واقع وحركة عامّة، ومنهج يسير عليه هذا الشعب؛ من أجل الوصول الى الفلاح والسعادة الحقيقيّة»[3]. وهذا ما تجلىّ في تجربة الإمام (الخميني) قُدِّسَ سِرُّهُ، الذي عمل على إحياء الإسلام عبر طيّ ذلك الطريق الذي طواه الرسـول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فالأصل في الثورة هي الحركة: «الحركة

١ - الإمام الخامنئي في الذكرى السنويّة الأولى لرحيل الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّهُ في ٦ ذي القعدة ١٤١٠ هـ.
٢ - الثورة والنظام الإسلاميّ في كلمات الإمام السيد علي الخامنئي، ص٨١.
٣ - الثورة الإسلاميّة ورسالتها المناسبة: الذكرى السنويّة السادسة لرحيل الإمام الخميني قُدس سره الشريف.

الهادفة المدروسة المتصلة، التي لا تعرف التعب، والمفعمة بالإيمان والإخلاص[..] في الثورة لا ينبغـي الاكتفاء بالكلام والكتابة والتوضيح؛ وإنّما يعدّ طيّ المسـافات والتقدم خندقًا عميقًا وإيصالها إلى الهدف مبدأً ومحورًا»[1].

يُستنتج ممّا سبق أنّ الثورة حراكٌ إنسانيّ متكامل. هي نظريّة وتطبيق، تسعى إلى تحرير الإنسان الفرد والمجتمع، من أجل «التخلّص من المآسي التي تشـترك فيهـا جميع البلدان الواقعة اليوم تحت نير الظلم والجور... والثورة تريد لهذا البلد ولهذا الشعب العزّة والمجد، والرفاهيّة والرفعة والتكامل الماديّ والمعنويّ. كما أن هذه الثورة تستهدف إزالة التسلّط الأجنبي، وقطع دابر الذّل والخنوع الذي فرضه على هذا البلد وعلى هذا الشـعب، ومحو آثار المآسي التي خلّفها الوجود الأجنبي المعادي»[2].

والثورة بالنسبة للإمام يجب أن تنطلق من أصول دينيّة مدعومة من حراك جماهيري وشعبي، يقـول الإمـام: «واحدة مـن هاتين الخصوصيتـين كانت أنّ مبنى هـذه الثورة هو القيـم الدينيّة والأخلاقيّة والروحيّة، والخصوصيّة الثانيّة أنّ الثورة اسـتمرت على أساس إرادة الشعب ومطلبه في تشكيل الحكم وإدارته، أي بعد انتصار الثورة لم تسلب أهميّة دور الشعب منه، وبقي بعنوانه عنصرًا من عناصر الثورة، فهاتان الخصوصيتان موجودتان في ثورتنا...».[3]

كما نرى، يختلف تعريف الإمام (الخامنئي) للثورة عن التعاريف الغربيّة، فالثورة ليست تحوّلاً كليًّا وتجديدًا، إنّما هي حركة الإنسان في التاريخ، والتي بدأت مع حركة النبوة، وهي تستمر من أجل إيصال الإنسان إلى كمالاته. وهذه الحركة تبتدئ من الفرد الذي يعي نفسه وحريته التي وهبه

١ - الإمام الخامنئي في الذكرى السنويّة الأولى لرحيل الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّه في ٦ ذي القعدة ١٤١٠ هـ.
٢ - الإمام الخامنئي في الذكرى السنويّة الأولى لرحيل الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّه في ٦ ذي القعدة ١٤١٠ هـ.
٣ - مقتطفات من كلام الإمام الخامنئي حول الثورات في العالم، على الرابط:

https://arabic.khamenei.ir/news/6441

إياها الباري لهذا الكون، ولا تنتهي مع رفع الاستبداد الداخليّ وإنهاء الاستعمار والتسلط الأجنبيّ على موارد البلاد. فالثورة، من خلال هذه الرؤية، حركة إيجابيّة تسعى إلى تحقيق وتثبيت الخلافة الإلهيّة من خلال تحرير الإنسان «من ربقة التسلّط الماديّ والمعنويّ والثقافيّ والاقتصادي، الذي استمر ما يقارب مئة وخمسين سنة»[1]، عبر جعل الإنسان متسلطًا على موارده، من أجل استخدامها في الطريق الصحيح، الذي يؤمّن له التقدم، عبر «إقامة نظام مستقل في شتى جوانبه؛ لأنّ التبعيّة للقوى الأجنبيّة هي الطامة الكبرى بالنسبة للشعب وللدولة معًا، ويترتب عليها جملة من المفاسد والمضار، فإذا فقد الشعب استقلاله وارتبط بدولة أجنبيّة فإنّ جميع طاقاته وموارده الطبيعيّة والبشريّة ستُستنزف وتُكرّس لصالح تلك الدولة، وهذا لا يخدم البلد قطعًا، وستكون الطاقات المخلصة والمؤمنة بمنأى عن مراكز صنع القرار، بل وقد يقوم النظام العميل بتصفية وإنهاء تلك الطاقات الخيّرة»[2].

وهنا نلاحظ أنّ الإمام يُركز على فترة المئة والخمسين عامًا الأخيرة، وهي فترة متميزة لأنّها تؤشر إلى مرحلة الهجمة الغربيّة على المجتمعات الإسلاميّة ومحاولة العمل على استيعاب الإسلام وإخضاعه للقيم الغربيّة تحت عنوان العقلنة وإشاعة الحداثة في هذه المجتمعات. ولكن هذا الأمر لم يتعدّ الشعارات التي استخدمها من أجل إيجاد نظام من التبعيّة والسيطرة، تستطيع من خلاله الدول الأوروبيّة تأمين الرفاهيّة لشعوبها وتعميتها أمام هول ما يرتكبون من مجازر وانتهاكات لكرامة الإنسان. وهذا ما أشار إليه الإمام (الخامنئي) بقوله: «يصور الغربيون أنفسهم اليوم في العالم على أنّهم يدعمون الديمقراطيّة، حريّة الرأي والتعبير، في حين أنّ هذا الأمر من الأكاذيب الكبيرة في العالم. لتعلموا هذا؛ إنّ الديمقراطيّة التي يتكلم عنها الغرب

١ - مقتطفات من كلام الإمام الخامنئي حول الثورات في العالم، على الرابط

https://arabic.khamenei.ir/news/6441

٢ - الثورة الإسلاميّة ورسالتها المناسبة: الذكرى السنويّة السادسة لرحيل الإمام الخميني قُدس سره الشريف.

اليـوم في المصطلحات العالميّة والغربيّـة ويتفاخر بها غير موجودة في أمريكا، ولا في فرنسـا ولا بريطانيا. لن أضرب مثلاً ألمانيا ذات التاريخ الفاشي والنازي[...] هناك مسـافة كبيرة بينهم وبين ما يتحدثون عنه. ولكن من خصائص الغرب وصفاته أنّه يصور أقبح الظواهر بصور منمقة وبتعليب جيد وعطور فواحة [...] وعندما يريدون الشجار مع أحد، فإنّهم يتشاجرون معه بهدوء! كيف ذلك؟ [...] يُطلقون رصاصة نحو قلب الشـخص المقابل من دون أن يغضبوا، بل يقتلون الآخرين ببرود»[1].

ما يريده الإمام من الثورة، جعلُها حركة بنائيّة؛ تسعى إلى بناء الإنسان على قواعد قيميّة، تنطلق من خصوصيات الذات وتعاليمها.

٢ - افتراق مفهوم الثورة عن التعريف الغربي:

تعريف الإمام للثورة، يحمل في طياته أبعادًا تجديديّة واضحة، فهو جاء ليجعل هذا المفهوم مسوّغًا داخل المنظومة الفكريّة الإسلاميّة، حيث استطاع أن يقدم رؤية متكاملة للثورة بعيدًا عن الرؤية التجزيئيّة عند معظم المفكرين السـابقين، الّذين نظـروا إلى الموضوع من زاوية محددة وأهملوا الزوايا الأخرى، حيث لم يشغله المفهوم بحدّ ذاته، إنّما تعداه من أجل بثّ معنى جديد، ينطلق من أفقه التطبيقيّ، والذي يتمثل بالحركة الدائمة باتجاه الإبداع والتغيير عبر ربطه بالحركة التي تعني التقدم بشكل دائم لتحقيق الأهداف. وما قدمه الإمام بخصوص الثورة، يختلف بشكل جذريّ عمّا هو سائد في الفكر الغربي، حيث اعتمدت جميع التعريفات الغربيّة للثورة على أسس تجريبيّة، فهي لا ترى الثورة إلا باعتبارها حراكًا إنسانيًّا، يحصل في فترة زمنيّة معيّنة، ويحمل معه تحوّلات كبيرة في البنى كافة، وهي تجري طبقًا لتطورات تاريخيّة محددة منفصلة عن كل أساس دينـي وميتافيزيقي. توضح (أرندت) أن المفهوم الذي أُخذ من كوبرنيكوس حمل في طياته لغة

١ - خطاب الإمام خلال استقباله حشدًا من المنظمات الطلابيّة بتاريخ ٥ كانون الأول ١٩٩٦.

تفسيريّة جديدة، وتقول: «إنّ جديد كوبرنيكوس لم يكن مجرد تحريك الأرض. لقد كان طريقة جديدة شـاملة في اعتبار مشـكلات علمي الفيزياء والفلك، غيّرت بالضرورة معنيي «الأرض» و«الحركـة». ومن دون تلـك التغييرات يكون تصور الأرض المتحركـة ضربًا من الجنون. ومن جهـة أخرى، حالما حصلت تلك التغييرات وصارت مفهومة، تمكن «ديكارت» و«هوبغنز» من إدراك أنّ حركة الأرض كانت مسألة فارغة المضمون بالنسبة إلى العلم»[1]. وخير من عبرّ عن هذا التحوّل على مستوى السياسة (نيقولا ميكيافللي)، حيث أخرج الفلسفة السياسيّة عن كلّ أساس معياريّ قيميّ، فبعدما كانت تتعلق بمفهوم الفضيلة وما ينبغي أن يكون عليه الوجود الإنساني في شكلِه السياسي، اقتصرت، حداثيًّا، على الأحكام الواقعيّة وما يستطيع الإنسان أن يقوم به، وهذا ما يجعل السياسة فعلاً ناتجًا عن تطور تاريخيّ، وليس له علاقة بالحاجات الإنسانيّة وقيمها.

يوصل الكلام السابق إلى أنّ ما شهده العالم بدءًا من العقلانيات المتنوعة، لا سيما السياسيّة مع (ميكيافللي) هو القطيعة مع الماضي الفلسـفي/ الدينيّ عبر تغيـير الرؤية القيميّة التي بنيت عليها الفلسـفة السياسيّة بدءًا من (أفلاطون) و(أرسطو) وصولاً إلى الفلسفة التقليديّة إلى أخرى تقوم على العلم الطبيعيّ الساعي للسيطرة على العالم أو بحسب تعبير (ماكس فيبر): «نزع السحر عن العالم»[2]. وهذا ما يجعل مصطلح «الثورة» بتركيبته المفاهيميّة وليدة تجربة خاصة مرّت بها القارة الأوروبيّة، وأدت إلى تغيير الرؤية الكونيّة للإنسان، حيث أصبحت الحركة بمعناها الماديّ، هي الأساس في بناء رؤية الإنسان للعالم، وهذا يعني ضبط المنظومة المعرفيّة المنتجة برؤية كليّة جديدة، تغيّب البعد الميتافيزيقيّ.

ما توصّلنا إليه حتى الآن يعني أنّ التعريف الغربي لا يمكن تعميمه على المجتمعات الأخرى

١ - حنة أرندت: في الثورة، ص٢٥٧.

٢ - انظر الرابط:

https://alaalam.org/ar/society-and-culture-ar/item/707-676290518.

إلا بعـد الأخذ بعين الاعتبـار حركيته في المجتمع الذي ينتمي إليـه. فهذا المصطلح لا يحمل المضامين نفسها في كلّ عمليّة استخدام له، فهو يأخذ أبعادًا مختلفة جوهريّة في جنوب إفريقيا أو في الصـين، حيـث يحمل في طياته أبعادًا أخلاقيّة تدلّ على الاسـتقامة، وهذا ما لا نجده في التجربة الغربيّة، كما أنّه في التركيبة الدلاليّة، نجد عناصر إشكاليّة لا بد من أن تعالج، لأنّها تُظهر الفارق الأساسيّ بين الفهم الغربي والفهم الإسلاميّ لهذا المصطلح. وفي هذا المجال يمكن أن يلاحظ القارىء عنصرين مركزيين، هما «البداية» و«الحركة»، وهما عنصران مفتاحيان لا يمكن فهم «الثورة» بمعزل عنهما.

أ - البداية:

تشـدد جميع التعاريف التي قُدِّمت للثورة على اعتبارها بداية جديدة. وفي هذا المجال قالت (حنا أرندت): «البشر مجهّزون لأداء المهمة، الإشـكاليّة منطقيًا، والخاصة بإيجاد بداية جديدة لأنّهم هم أنفسـهم بدايات جديـدة وبالنتيجة بادئون، وبأنّ طاقة البدايـة ذاتها متجذرة بالمولد، متجـذرة في أنّ الكائنات الإنسـانيّة تظهر في العالم بحكم الولادة»[1]. فـكلّ ثورة تقدم لمرحلة مختلفة تمامًا عن المراحل السـابقة، وكأنّها تؤشر إلى مبدأ جديد: «الكلمة اليونانيّة للبداية هي كلمة (Apxn) وهي ذاتها تعني البداية والمبدأ معًا»[2]. فالثورة تسـعى إلى تأسيس جديد: «وإذا كان التأسيس هو هدف الثورة وغايتها، إذن فإن الروحيّة الثوريّة ليست مجرد روحيّة البدء بشيء ما جديد، بل هي البداية بشيء دائم ومستمر بالبقاء»[3].

وهذه الخاصيّة التي تجعل من الثورة عملاً تأسيسـيًا، نجدها ثابتة في الفكر الغربيّ، وهي لا

١ - حنة أرندت: في الثورة، ص٣١٠.
٢ - حنة أرندت: في الثورة، ص٣١٢.
٣ - حنة أرندت: في الثورة، ص٣٤١.

تتعلق فقط بالبعد السياسيّ، إنّما تتعداه إلى التفكير العلميّ، وهذا ما أشار إليه (توماس كون) في كتابه (بنية الثورات العلميّة)، حين اعتبر الثورة العلميّة انتقالاً غير تدريجي من «براديغم» إلى آخر، فعند عجز الأول عن تقديم إجابات تفسيريّة، يحلّ الثاني مكانه، ويقول: «إنّ عمليّة الانتقال من براديغم إلى براديغم جديد، يكون منشأً لتقليد جديد لعلم عادي، هي أبعد ما تكون من عمليّة تراكميّة، عمليّة تتحقق عن طريق صياغة براديغم قديم أو توسيعه. والأصح هو القول بأنّها إعادة بناء الحقل على أسس جديدة، وهي إعادة البناء التي تغير بعضًا من أهم التعميمات النظريّة الابتدائيّة للحقل، فضلا عن عدد كبير من طرائق البراديغم وتطبيقاته. وسيكون هناك خلال فترة الانتقال تداخل كبير، لكنّه ليس كاملا، بين المشكلات التي يمكن حلّها بواسطة البراديغم القديم والبراديغم الجديد. وسيكون هناك أيضًا فرق حاسم في أنماط الحل. وعندما يكتمل الانتقال، تكون المهنة قد غيرت نظرتها إلى الحقل، وطرائقه، وأهدافه»[1]. فالثورة من خلال هذا الفهم إعادة فهم شاملة وجديدة، يجري من خلالها استبدال لغة بأخرى، وهذا ما يعني إيجاد قطائع معرفيّة بشكل مستمر.

وهذا الفهم للثورة باعتبارها بداية لا يتوافق مع النظرة الإسلاميّة، التي لا نراها منفصلة عن خلافة الإنسان وخط النبوة، وهي بالتالي لا تقوم على مبدأ القطع، إنّما التواصل مع حقيقة الوجود. وهذا ما أشار إليه السيد (محمد باقر الصدر) الذي نظر إلى أنّ الإنسان كفرد وجماعة بمسير نحو الله عبر الوعي بالمثل الملازم لهذا الكدح، وهذا ما يظهر «حينما توفّق [المسيرة الإنسانيّة] بين وعيها على المسيرة وبين الواقع الكونيّ لهذه المسيرة بوصفها سائرة ومتّجهة نحو الله، سوف يحدث تغيير كميّ وكيفيّ على هذه المسيرة»[2]، والتي تؤدي إلى أمرين:

- **التغيير الكميّ:** وهو يقوم على انفتاح الإنسان على التطوّر والإبداع والنمو المستمر،

١ - توماس. س كون: بنية الثورات العلميّة، ص١٦٨.

٢ - محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنيّة، مج١٩، ص١٤٤.

ويكون ذلك عندما يميل الإنسان إلى الوحي، ويتبنى المثل الأعلى الإلهيّ، الذي يمسح كلّ المثل المزوّرة، وكلّ الأصنام والأقزام التي تقف أمامه.

- **التغيير الكيفيّ:** وهو يتمثل بتقديم حلول موضوعيّة للجدل والتناقض الإنسانيّ، فمن خلال إيمان الإنسان بالمثل الأعلى ووعيه حدود الكونيّة الواقعيّة، ينشأ لديه شعور بالمسؤوليّة تجاه هذه المثل الأعلى لأوّل مرة في تاريخ المُثُل البشريّة التي حركت البشر على مرّ التاريخ. وهذا يتناقض مع أصحاب المثل المنخفضة التي نشأت نتيجة الإفرازات البشريّة، وهؤلاء يبقون دائمًا بعيدين عن المسؤوليّة، لأنّ مثل هذه المُثُل قد تصنع قوانين، عاداتٍ، أخلاقًا، ولكنّها كلّها غطاء ظاهري، يسعى الإنسان للتحلّل منها كلّما أتيحت له الفرصة لذلك، بينما المثل الأعلى المنفصل عنه يعطي الموضوعيّة والشعور بالمسؤوليّة، الذي يتجسّد في كيانه، في كلّ مشاعره وأفكاره وعواطفه. ومن هنا، كان النبيّ معصومًا على ما مرّ، وكان رائدًا وثوريًا لا يحيد عن طريق الحقّ.

وهذا الكلام يوضح أنّ الثورة ليست بداية، بل هي جزءٌ من مسيرة الإنسان الناتجة عن ذلك «الإحساس الذي يوقظه الأنبياء عند الناس، أي إحساس الحاجة إلى الله والتوحيد التي تكمن في فطرة كلّ إنسان وتجعله يبحث عن التعالي وينفر عن كلّ ما هو ناقص ودنيء [بأيّ] شكل ومظهر كان، ويعطي للإنسان مبدءًا يجعله من أنصار الحقّ والحقيقة لكونه حقًا وحقيقة وليس من أجل أنّها تؤمّن له مصالحه الشخصيّة، ويعتبر العدو باطلاً وخواء لكون الباطل باطلاً والخواء خواءً من غير الالتفات إلى أيّ نفع وضرّ شخصي له، يتبع العدل والمساواة أو الصدق والصلاح، لأنّها قيم إلهيّة. كل هذه الأعمال تصبح هدفًا وغاية ليست مجرد وسيلة للوصول إلى النصر في معترك الحياة»[1].

فالثورة الإسلاميّة هي استمرار لخط النبوة والإمامة، وهي حضور للنصّ القرآنيّ وتعاليمه

١ - مرتضى مطهري: الثورة والدولة، ص٥٤.

الشرعيّة بين النـاس، هذا الكتاب الذي قال عنه الإمام (الخمينـيّ) قدّس سرّه: «هو الكتاب الذي تنزّل من مقام الأحديّة الشـامخ الى مقام الكشف المحمـدي التام[1] لإرشاد العالمين، وليكون نقطة الجمع لكل المسلمين، بل للعائلة البشريّة جمعاء هادفًا لإيصالها الى ما يليق بها، وتحريـر وليدة علم الأسـماء[2] من شر الشياطين والطواغيت، وإقامة القسط والعدل في العالم وتفويض أولياء االله المعصومين (عليهم صلوات الأولين والآخرين) أمر الحكومة يسملونها بدورهم لمن يـرون فيه صلاح البشريّة»[3].

وهذا ما أكد عليه الإمام (الخامنئي)، حيث إنّه نظر إلى الثورة باعتبارها اسـتمرارًا لخطّ النبوة، وهي تسعى باتجاه حاكميّة الله على المجتمعات الإنسانيّة، لذلك سعت من خلال حركيتها إلى «حاكميّة الإسـلام في الدرجة الأولى؛ فقد انطلقت الثورة أساسًا لتحقيق هذا الهدف، ولأجل أن يحكم الإسلام، وأن تكون له سيادته بمعناها الخاص»[4]، هذه السيادة التي تعمل على رفع القيم التي أتى بهـا الدين الحنيف، «حاكميّة دين الله، والحريّة، والعدالـة الاجتماعيّة، والرفاه العام، واجتثاث جذور الفقر والجهل، والمقاومة أمام سـيل الفساد الأخلاقي الجارف الذي انطلق من الغرب نحو العالم كلّه»[5]. وإذا راجعنا سيرة أمير المؤمنين عليه السلام، نرى جملة من الخصائص التي

---

١ - هو ظهور وتجسّم جميـع الحقـائق القرآنيّة لـدى النبـي (محمد) (صلى الله عليه وآله وسلم)، و"الكشف التام المحمدي" هو مرتبـة مـن مراتـب التنزّل القرآني. ففي هذه المرتبة استقر القرآن في قلـب النبـي بكلّ أبعاده. وهذه المرتبة من كشف الحقـائق القرآنيّة ليسـت إدراكًا عقليًا، بل مشاهدة غيبيّة، لا يـدركها إلا النبـي (صلى الله عليه وآله وسلم)، والكشف خاص به، والمشاهدة التامة له خاصة.

٢ - «علم الأسماء" هو نوع من العلم والمعرفة يخـتص بتعلمـه الموجود الإنسان. و"وليدة علم الأسماء" هو الانسان، الذي عرض االله سـبحانه عليه هذا العلم ليصبح به مؤهلاً لخلافة الارض، ولولاه لما كان مؤهلاً لخلافة الأرض.

٣ - الإمام الخميني: الوصيّة الخالدة، ص٣٨.

٤ - كلمة الإمام الخامنئي لدى لقائه رئيس وأعضاء مجلس خبراء القيادة في ٢٦-٥-٢٠١٦.

٥ - كلمة الإمام الخامنئي لدى لقائه رئيس وأعضاء مجلس خبراء القيادة في ٢٦-٥-٢٠١٦.

تشكّل جاذبًا لكلّ الشعوب والأجيال، وهي:

- **حاكميّة الدين:** وهذا الأمر كان نبراس الثوريين عبر: «التمسّك التام بدين الله والإصرار على إقامته، فأيّما حكومة لا يقوم أمرها على أساس إقامة الدين فليست حكومة علويّة»[1]. فكلّ حراك الثورة كان يهدف من أجل هذه الغاية، حيث كان الله عزّ وجلّ هو المقصد والغاية، وعلى أساسه تبنى المواقف.
- **العدالة المطلقة:** وهي العدالة الشاملة للجميع وفي الأمور كافة؛ أي العدالة الاقتصاديّة، والسياسيّة والاجتماعيّة والأخلاقيّة. وهذا ما ظهر في سياسة أمير المؤمنين، الذي: «لا يطيق الظلم ولا يركن إليه ولو أُهدرت مصالحه. ومن أفظع الظلم هو التمييز، سواء في تطبيق القوانين أو في تنفيذ الأحكام»[2]، حتى لو أدى ذلك إلى نتائج وخيمة. نلاحظ ذلك، عندما: «ارتكب أحد أتباعه مخالفة، وكان شديدًا في حبّه وماهرًا في الدعوة إليه، وكثيرًا ما كان يمارس الدعوة الحقّة له عليه السلام، فأقام أمير المؤمنين عليه السلام عليه الحدّ، وكان ذلك خلافًا لما يتوقّعه، فقال: يا أمير المؤمنين، أنا الذي أواليك وأدافع عنك، فردّ عليه عليه السلام: نعم، ولكن هذا حكم الله، والله هو الذي يتقبّل منك موالاتك لي، ولك جزيل الشكر! وهكذا أجرى الحد عليه. لكنه ردَّ: ما دام الأمر كذلك، فإنني ذاهبٌ إلى معاوية، فهو الذي يعرف قدري! فذهب»[3].
- **التقوى:** وهي تعني تلك الشدّة من المراقبة: «بحيث لا يحيد الإنسان عن جادة الحق في ممارساته الشخصيّة. وهذا ما تعنيه التقوى؛ أي أن يراقب المرء نفسه مراقبة تامّة في تداوله للأموال، في التلاعب بكرامة الناس، في الاختيار والرفض، في التحدّث حيث

١ - كلمة الإمام الخامنئي في ذكرى مولد أمير المؤمنين (عليه السلام)، ١٣ رجب ١٤٢٣هـ، طهران.
٢ - كلمة الإمام الخامنئي في ذكرى مولد أمير المؤمنين (عليه السلام)، ١٣ رجب ١٤٢٣هـ، طهران.
٣ - كلمة الإمام الخامنئي في ذكرى مولد أمير المؤمنين (عليه السلام)، ١٣ رجب ١٤٢٣هـ، طهران.

يحتـاط أن لا يقول ما يخالف الحق»[1]. ويدعـو الإمام (الخامنئي) للعودة إلى (نهج البلاغة) ومطالعته: «فهو حافل بالحثّ على التقوى والدعوة إليها، وما لم يكن الإنسان تقيًّا فلا قدرة له على إقامة دين الله. فأسوأ المرض تلوثّ الباطن، فتلوثّ قلب الإنسان بالمعصية لا يدع للإنسان فرصة إدراك الحقيقة، ناهيك عن أن يتحرك صوبها»[2].

- **الانبثـاق من إرادة الناس:** لا يمكن أن تقوم الثـورة على التغلب والتحكم بالناس عن طريق الغلبة والقهر، وأمير المؤمنين «بالرغم من علمه بأنه على حق تنحّى جانبًا حتى جاءه الناس مصرّين معاهدين، ولعلهم بكوا ملتمسـين إياه أن يمسك بزمام أمورهم، حينها نهض الإمام وأمسك بزمام أمور الأمة»[3]. فالإسلام ليس حركة سلطويّة، تسعى للسـيطرة على المجتمعات، «فلا يستهوي أمير المؤمنين الإمساك بالسلطة وممارسة قدرته، فحب السـلطة إنما يسـتهوي أولئك الذين يريدون إرضاء رغباتهم وأهوائهم النفسـيّة، وليس أمير المؤمنين الذي يسعى لأداء التكليف الشرعي وإقامة الحقّ»[4]. فالثورة بالنسـبة إلى الإمام (الخامنئي) اسـتمرار لقيم التوحيد والنبوة والإمامة، وهي تهدف إلى تفعيل تعاليمها في كل مفاصل الحياة، على اعتبار أنّ هذه التعاليم مزروعة في فطرة الإنسان، وهي بالتالي حركة مستمرة من أجل هذه الغاية.

ب - الحركة:

يمثل العنصر الثاني من تعريف الثورة. وهو بالغ الأهميّة في توضيح افتراق الرؤية الإسـلاميّة عن الرؤية الغربيّة في فكر الإمام (الخامنئي). فإذا نظرنا إلى مفهوم الحركة في الحضارة الغربيّة،

١ - كلمة الإمام الخامنئي في ذكرى مولد أمير المؤمنين (عليه السلام)، ١٣ رجب ١٤٢٣ه، طهران.
٢ - كلمة الإمام الخامنئي في ذكرى مولد أمير المؤمنين (عليه السلام)، ١٣ رجب ١٤٢٣هـ، طهران.
٣ - كلمة الإمام الخامنئي في ذكرى مولد أمير المؤمنين (عليه السلام)، ١٣ رجب ١٤٢٣هـ، طهران.
٤ - كلمة الإمام الخامنئي في ذكرى مولد أمير المؤمنين (عليه السلام)، ١٣ رجب ١٤٢٣هـ، طهران.

نراه بدأ يأخذ معنًى جديدًا بدءًا من نيوتن، الذي حوّل العالم إلى مجرد آلة تسير بشكل ميكانيكي، فهو مصنوع كما الساعة من قِبل صانع عظيم، أوجدها وفعّل حركتها، ثم تركها بعد ذلك لتعمل وحدها وفق نظام دقيق، وحين يتضاءل اشتغال حركة عقاربها أو تتوقف يتدخل الصانع لتجديد فعل حركتها واشتغالها. وكذلك هي حركة الأجسام والأجرام السماويّة، فإنّها تخضع «لقوانين ميكانيكيّة ساريّة، إلى أن يتضاءل مفعولها، فيتدخل الله من جديد لتجديدها مثلما نتدخل لنملأ الساعة بعد أن تكون قواها قد خارت بفعل ارتخاء زنبركتها. فوجود الله وحضوره لبعث القوة المحركة من جديد في الكون لا يحدث إلا على فترات متباعدة»[1]. وهذه الرؤية جعلت التاريخ الإنسانيّ يسير بشكل ميكانيكيّ.

ما يهمّ من الكلام السابق، أن التاريخ والتحوّلات التي تجري فيه أصبح هو الأساس، وإن كان أعطاه بعدًا ميتافيزيقيًا، إلا أنّ (كارل ماركس) سيعيد قراءته بشكل ماديّ تعتبر الكون ككلّ مكونًا من المادة في حركتها. هذا الكون يتكون من مجموعة من العمليات المرتبطة إحداها بالآخر عضويًا، والتي هي في تطور مستمر، فكلّ شيء في حالة صيرورة وتغيّر مستمر، تنتج عن تصارع الأضداد ضمن وجهة نظر التطور. وعلى هذا الأساس، قام بتحقيب التاريخ الإنساني إلى مراحل، جرى الانتقال فيما بينها نتيجة تحوّل في البنى التحتيّة التي أدت إلى تحوّل في البنى الفوقيّة، تتميز بصراع طبقي وتصل كل تشكيلة بنمو القوى المنتجة إلى نقطة لا تعود علاقات الإنتاج تتلاءم معها فتمزقها وتنشأ تشكيلة جديدة. وهذا ما عبرّ عنه (ماركس) من خلال تقسيم التاريخ إلى مراحل، وكل مرحلة منه تحمل في طياتها قطيعة مع السابقة، وتقدم لأخرى جديدة. فالماركسيّة رأت أنّ المرحلة الأخيرة المتمثلة بالرأسماليّة في طريقها إلى الانحلال نتيجة صعود الطبقة العاملة، التي تمثل العنصر الثوري في المجتمعات.

ترى النظرة الغربيّة للحركة أنّها طابع خطيّ ميكانيكي، وهذا ما يجعل الإنسان خاضعًا للوقائع

١ - سالم يفوت: أبستمولوجيا العلم الحديث، ص ص٦٦-٦٧.

الماديّة. وهذا ما لا يتوافق مع النظرة الإسلاميّة، التي ترى الإنسان محرّك التاريخ، وهذه الحركة تنبع ممّا هو موجود فيه من وحدة الفطرة التي تجعل الإنسان ساعيًا لتحقيق كمالاته. فالحركة من خلال التصور الإسلاميّ ليست حركة قطع، إنّما هي حركة تقوم على الاستمراريّة لإيصال الإنسان إلى الهدف الذي وُجِد لأجله في الدنيا والآخرة. بالتالي الثورة بالنسبة إليه صيرورة دائمة باتجاه التقدم، وهذا ما نلاحظه من خلال مسيرتها، التي لم تتوقف عند الانتصار، وإنّما استمرت تحث الخطى نحو الهدفيّة، التي سعت لتحقيقها، والتي من الممكن أن تقسم إلى أربع محطات أساسيّة:

- **المرحلة الأولى:** وهي الثورة على النظام الطاغوتي الباطل والسيّئ.
- **المرحلة الثانيّة:** وهي مرحلة بناء القيم، وإقامة نظام ثوري، وهذا الأمر لن يتم إلا من خلال جهاز إداري، وهو ما سيكون الحكومة الثورية.
- **المرحلة الثالثة:** وهي إيجاد حكومة ثوريّة، وهي الحكومة التي تؤمن مؤسساتها وقطاعاتها من صميم القلب بالثورة وتتحرك باتجاه مسير الثورة. وبعد أن تقوم هذه الحكومة الثوريّة، ينبغي أن تتحقق كل هذه المُثل العليا والقيم والآمال الثوريّة الكبرى المطروحة في المجتمع بواسطة الإجراءات والتنفيذ الجيد، قانون جيد وتطبيق جيد.
- المرحلة الرابعة: وهي تنشأ نتيجة نجاح الحكومة الثوريّة، وتصل إلى ذروتها من خلال إيجاد المجتمع الثوري[1]. من خلال هذه المقاربة نلاحظ أنّ مسيرة الثورة، تأخذ الشكل التالي:



١ - كلمة الإمام الخامنئي في لقاء حشد من طلاب الجامعات في اليوم الثاني عشر من شهر رمضان المبارك في ٢٨-٥-٢٠١٨.

وهذا الحـراك، يوصل باتجاه قيـام حضارة ثوريّـة، فمن خلال المراحل التـي تحدث عنها الإمام: «سـتتهيأ الأرضيّة اللازمة لإيجاد الحضارة الثوريّة والإسـلاميّة. وأنا الآن قد استخدمت تعبير «ثـوري»، ويمكنكم اسـتبداله بتعبـير «إسـلامي»، أي إن الحكومة الإسـلاميّة، المجتمع الإسلامي، الحضارة الإسلاميّة؛ هذه هي المراحل المطلوبة»[1].

يتكلم الإمام عن صيرورة وحركة دائمة باتجاه إقامة المجتمعات على أساس القيم العليا، التي هي في أصل الدعوة الإسلاميّة، وهي قيم على الرغم من حركيتها إلا أنّها تحفظ الأصل، وتجعله مرجعيّة وهدفًا لها، وهذه القيم هي:

- **العزة الوطنيّة:** وهي أحد مُثل الثورة، وهي أمر بالغ الأهميّة. العزة الوطنيّة تعني الشعور بالافتخار الوطني، وأن يكون هذا الافتخار ناشئًا من حقائق الواقع؛ من وقائع موجودة في المجتمع وعلى الأرض، ولا يُعتمد على الأوهام والتصورات الذهنيّة.
- **الثقة الوطنيّة بالنفس:** هذه الثقة الوطنيّة بالنفس تغلق باب التبعيّة، وإذا وُجدت فلن يشعر الشعب بحاجة إلى التبعيّة والارتهان للخارج، بل إنه سينفر ويتجنب التبعيّة للآخرين.
- **الاسـتقلال السـياسي، الاسـتقلال الاقتصادي، الاسـتقلال الثقافي:** هذه من المُثل والأهداف العليا لأي شـعب، فإذا وُجِدت فإن ذلك الشـعب لن يكون مجبورًا على تحمل هيمنة وتسلط المستبدين والطامعين في العالم.
- **الحريّـة، حريّة الفكر، حريّة البيان، حريّة العمل:** إن لم توجد حريّة لن يحدث رشـد ونضـج. إن لم يكـن هناك حريّـة فكر وحريّة بيـان وحريّة عمـل في المجتمع، فإن رشـد هذا المجتمع سيتوقف. إن رشد المجتمع -الرشـد المعنوي للمجتمع- وتقدّم المجتمع، بحاجة من دون شك إلى هذه الحريات. ولكن الحريّة المطلوبة هي تلك

---

١ - كلمة الإمام الخامنئي في لقاء حشد من طلاب الجامعات في اليوم الثاني عشر من شهر رمضان المبارك في ٢٨-٥-٢٠١٨.

الحريّة المسـؤولة التي ترعاها القوانين، لأنّ طبيعـة الحريّة هي أنها تتجاوز الحد إن لم يكـن هناك قانون وإطار محدد، حينها سـتتعدى حدودها وسـتنجرّ إلى الاعتداء والفوضى والتسيّب وتصل إلى أماكن سيئة، وهذا ما نجده في الغرب

- **إقامة العدالة:** التي تتمثل برفض التمييز، ومواجهة الفروقات الطبقيّة. هذه من الآمال العظمى. وفي الأصل، إن إقامة القسط والعدل هي المسألة الأساسيّة والهدف الرئيس للأنبياء: ﴿**لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْـطِ**﴾ [الحديد: من الآية ٢٥]. ونحن أيضًا نسـير في طريق الأنبياء، إننا ننتهج سـبيل الإسلام وخط الأنبياء. بناءً على هذا، وبشكل قطعي، العدالة هي المثل الأعلى والهدف الأسمى والقيمة الكبرى التي نسعى لتحقيقها.
- **التقـدم المادي والحضاري:** ويكون ذلك ببركة العلم والتقنيّة، ومن خلاله ينجو البلد من التخلف.
- **من المُثل العليا الأخرى، رُشْدُ أخلاقيات العِشْرة، أن تكون علاقات الناس ومعاشرتها أخلاقيّـة:** وتتمثـل في الرحمـة والإيثـار والتعاون والمسـاعدة وأمثالها. رُشـد هذه الأخلاقيات ونموّها يرتبط بمعاشرة الناس لبعضها بعضًا في المجتمع[1].

وهذه المثُل بالنسبة إلى الإمام، هي التي تعِدّ: "الأجواء لرُشد المعنويات والتحرر من عبوديّة الشـهوة والغضب لدى الأفراد اللائقين. هذه من أعـلى الأمنيات والآمال التي يُغفل عنها غالبًا. يجب أن تصل الأجواء لمستوى يمكن للأشخاص المستعدين من ذوي اللياقة أن يتحركوا في هذه الفضاءات، فينمو أمثال الحاج ميرزا (علي القاضي) وأمثال العلامة (الطباطبائي) والشخصيات البارزة بهذا الشـكل. [هؤلاء] من الأفراد المتعالين والراقين الذين استطاعوا أن ينطلقوا من هذا الجو المادي ويتسـاموا ويحلقوا للأعلى. يجب إعداد الأجواء لهذا الرشـد والسـمو المعنوي.

١ - كلمة الإمام الخامنئي في لقاء حشد من طلاب الجامعات في اليوم الثاني عشر من شهر رمضان المبارك في ٢٨-٥-٢٠١٨.

بالطبـع لا نمتلك كلنا مثل هذا الاسـتعداد، ولكن يوجـد بيننا من لديهم اللياقـة لهذه الحركة؛ وخاصة في مرحلة الشباب"[1].

رابعًا: قراءة سوسيو-سياسيّة للمصطلح:

يميّز الإمام بين الثورة والانقلاب، ولا يرى كلّ عمليّة تحوّل في السلطة ثورة، فالكثير من الدول الأفريقيّـة وغير الأفريقيّة التي حصلت فيها ثـورات كـ«الموزنبيق، وزيمبابوي، أو ما حصل في الهند[...] فليس لأيّ منها تلك الخصوصيّة التي يمكن أساسًا مقارنتها بثورتنا»[2]. فالثورات التي حصلت والتي يمكن مقارنتها بالثورة الإسلاميّة قليلة جدًا كالثورة الفرنسيّة والأمريكيّة والروسيّة بالإضافـة إلى الثورة الجزائريّةز ويعتبر الإمام (الخامنئي) أنّ الثورة الإسـلاميّة تتميّز بتفردها عن الثورات الأخرى في العالم، «فهذهِ الثورة تختلف حقيقة عن سائر الثورات سواء في كيفيّة حدوثها أو في دوافع حدوثها [...] فالفرق كما بين السماء إلى الأرض[...] فقد كانت ثورتنا ثورة مذهلة جدًّا سواء من جهة العظمة والنزاهة والطهارة وتجنب الضلالة وإحداث الفجائع التي تشاهد في سائر الثورات الجماهيريّة في جميع المواطن، أو من جهة استمرار هذهِ الثورة، أو من جهة كفاءة هذهِ الثورة وقوتها ومنجزاتها»[3]. والإمام عندما يحدد موقفه من الثورات، يعتمد معياريّة محددة، تقوم على أساس الملاحظة للوقائع عبر أخذ مرحلة زمنيّة محددة.

والحديث عن المعياريّة يقودنا، دون شك، للذهاب باتجاه التحديدات الاجتماعيّة والسياسيّة، التي تحدد على أرضيتها الثورة. وهنا نجد تعددًا للتوصيفات والنظريات المتعلقة بمفهوم الثورة، وعند مراجعتها، نصل إلى اللوح الآتي:

---

١ - كلمة الإمام الخامنئي في لقاء حشد من طلاب الجامعات في اليوم الثاني عشر من شهر رمضان المبارك في ٢٨-٥-٢٠١٨.

٢ - كلمة الإمام الخامنئي في لقاء المشاركين في مؤتمر تحديد آفات الثورة ٠٦/٠٣/١٩٩٩.

٣ - خطاب الإمام في ١٩ رمضان المبارك ١٤١٦ هـ. في جموع من المصلين.

النظريّة المتعلقة بالثورة	طبيعة المشاركة فيها	أساليبها	استراتيجياتها	الزمن	الهدف
الماركسيّة	طبيعة المشاركة فيها	تقوم على العنف والصراع	تقوم على استراتيجيات وتكتيكات متعددة	الزمن الخاص بها طويل وهو مرتبط بالهدف	تسعى إلى إيجاد بديل وهي تؤذن ببداية جديدة
النفسيّة	عبارة عن حالة نفسيّة ناشئة عن إحساس الأفراد والجماعات بعدم قدرة الدولة على تلبية متطلباتها	تقوم على العنف والصراع	تحتاج إلى من يقوم بإيجاد قيم وتصورات بسيطة تطرح كبديل عن القيم والتصورات السابقة	الزمن يرتبط بحالة الشعور بعدم الرضا	تسعى إلى إيجاد قيم وتصورات بديلة
نظريات الثورة كنزاع سياسي	عبارة عن صراع بين جماعات اجتماعيّة جديدة تريد الحلول بدل جماعة سائدة	تقوم على العنف وتمر بمراحل متعددة لكي تكتمل من خلال النتيجة الثوريّة	تحتاج إلى ثلاثة عناصر أساسيّة: التنظيم والهويّة والهدف	يرتبط بالمراحل التي تمر بها الثورة، ولكنّها قد تكون طويلة الأمد	تسعى إلى السيطرة على السلطة والاستئثار بالقوة
الثورة كحمى اجتماعيّة	عبارة عن مرحلة نهائيّة عن عمليّة تحوّل في المجتمعات، تظهر على شكل أعراض مرضيّة	العنف ليس حالة ضروريّة، ولكن في الثورات الكبرى تحدث فيها أعمال عنفيّة	تبدأ من تلاحم فئات متعددة، تسعى باتجاه التغيير	تحتاج إلى فترة زمنيّة طويلة	تحمل صراعات بين المعتدلين والثوريين، وتنتهي بوصول العمليين للسلطة
النظريّة البنيويّة	أزمات هيكليّة في الدولة وتحوّلات دوليّة	العنف تعبير من تعبيراتها	تبدأ مع عمليات التحديث وعدم قدرة الدولة على قمعها وحصول تطورات دوليّة تسمح بالثورة	تحتاج إلى فترة زمنيّة طويلة	تنتهي بإعادة تشكيل دولة قهريّة

بعد دمج التعريفات السابقة، نجد الخطيطة الآتية، التي توصّل إليها (كوهان)، والتي اعتبرت أنّ الثورة يجب أن تشمل العناصر التالية:

- تغيير القيم أو أسطورة نظام معيّن.
- تغيير في البنية الاجتماعيّة.
- تغيير في المؤسسات السياسيّة.
- شرعيّة أو عدم شرعيّة التغيير.
- تعديل النخبة.
- استخدام العنف.

هذه العناصر تترابط فيما بينها لتحقيق الهدف من الثورة. وهذا يعني أنّ التغيير الهيكلي سمة أساسيّة لها، لأنّه لا يمكن الانتقال من حقبة تاريخيّة إلى أخرى دون إجراء هذا الأمر، فهي بداية جديدة، تستلزم التغيير المؤسسي من إلغاء مؤسسة أو إلغاء بعض وظائف المؤسسة أو إنشاء مؤسسات جديدة أو وظائف جديدة لمؤسسة ما[1]. وهذا يحتاج بحسب تعبير (هنتنغتون) ليس إلى إعادة تصميم المؤسسات فحسب، بل أيضًا الأسس والقيم التي تقوم عليها، وهذا يأخذنا باتجاه إعادة بناء النظرة الكونيّة والبنى المؤسِّسة للمجتمع باتجاه القيام بتأويلات، تغيّر في الاعتقاد الدينيّ ليصبح ملائمًا للسير في مشروع الحداثة الغربيّة والتعايش معه أو حتى تهميشه. وهذا ما تنبه إليه الإمام (الخامنئي)، ودعا إلى ضرورة دراسة الثورة من خلال متابعة الظروف التي أدت إلى انتاج أفكارها، وهو استشهد في خطبه ببعض الملاحظات التي قدمها (جلال آل أحمد)[2] والتي أظهر فيها كيفيّة ولادة التنويريّة الغربيّة والثورة الفرنسيّة عبر تعميم أوصاف ثلاثة تمُثل العقلانيّة، هي:

---

1 - E.S. Pettee: The process of revolution, p22.

٢ - خطاب الإمام في المؤتمر الرابع للفكر الإستراتيجي بتاريخ ١٣ تشرين الثاني عام ٢٠١٢.

- **أولاً:** معارضة المذهب أو الدين، أي إنّ التنويري يجب أن يكون معارضًا للدين.
- **ثانيًا:** التعلق بالعادات الغربيّة والتصرفات الأوروبيّة.
- **ثالثًا:** الدراسة.

واعتبر الإمام أنّ هذه الأوصاف كانت ناتجة عن ظروف الواقع الذي عاشته القارة الأوروبيّة، وهي لا تنطبق على الواقع الإسلاميّ، ويصل بعد تحليله إلى نتيجة: «العقلانيّة بالمعنى الحقيقيّ للكلمة لا تعادي الدين ولا ترفض التعبد. يمكن للإنسان أن يكون عقلانيًا حسب المعنى الذي ذكروه للعقلانيّة. الشخص الذي يفكر بالمستقبل، ويمارس عملاً فكريًا ويمضي نحو التقدم، وأن يكون متدينًا ومتعبدًا في آن واحد، يمكن أن يكون الدكتور بهشتي أو الشهيد المطهري، يمكن أن يكون مثل الكثير من الشخصيات العقلانيّة المتدينة جدًا التي رأيناها. لا حاجة لأن يكون رافضًا للدين»[1].

أما على صعيد تغيير النخبة، فقد يكون بسيطًا مثل تغيير الأفراد، أو معقدًا مثل نقل النخبة عن طريق جذب نخبة جديدة من طبقة مختلفة والقضاء على النخبة أو الطبقة القديمة. في حين تتعلق الشرعيّة أو اللاشرعيّة بحقيقة أنّه في مرحلة ما جرى اعتبار الثورة غير شرعيّة من قبل النظام، وبعد نجاح الثورة، يصبح المتمردون السابقون الحكومة الشرعيّة في نظر المواطنين، ويلي ذلك اعتراف دولي بهم، فتكتسب السلطة الجديدة شرعيتها. أما العنف، فهو عنصر أساسي في تعريف (هنتنغتون)، كما أنّه أيضًا مفهومٌ رئيس في النظريّة الماركسيّة للثورة. اشتهر عن (ماو تسي تونغ) أن الثورة ليست حفلة شاي؛ وبالتالي، من الآمن افتراض أن الثورة سوف تنطوي على نوع من العنف، إن لم يكن الإرهاب الصريح[2].

كما نلاحظ، فإنّ هذه المقاربة تفترض دائمًا ضرورة الخروج على نظام سابق بكليته القيميّة

---

١ - خطاب الإمام في المؤتمر الرابع للفكر الإستراتيجي بتاريخ ١٣ تشرين الثاني عام ٢٠١٢.

2 - A.S.Cohan: Theories of revolution: an introduction. Ibid, pp14-27.

والاعتقاديّة بالإضافة إلى وجود صراع بين القوى الثوريّة. وهذا الأمر يحتاج إلى تدقيق في محتوى التعريف، حيث نلاحظ أنّ الثورة في استخداماتها في العالمين الآسيوي والأفريقي، أولت فعل مقاومة قوى الاستعمار والاحتلال أولويّة في حراكها الفكري، وجعلته من المطلوبات الأساسيّة لكلّ عمليّة ثوريّة، وهذا ما يجعل مقاومة الاحتلال جزءًا من الثورة. أيضًا، يغيّب تعريف الثورة في منظوره الغربي الإنسان / الفرد كنقطة مركزيّة في كلّ عمليّة ثوريّة، وهذا ما نراه في مطاوي هذا البحث، والنقطة الأبرز التي يجب التنبه لها أنّ الثورة تفترض تغييراً في البنية الاعتقاديّة التي يتبناها المجتمع، وهذه النقطة شديدة الحساسيّة لأنّها -وإن لم تفصح عن ذلك- تفترض بناء نظام من التبعيّة لمرجعيّة بديلة، وهذا ما تعمل عليه الدول الاستكباريّة من خلال تعميم نمط معين من الثقافة يتوافق مع خطابها الخاص من أجل أن يتواءم خطاب الثورة مع المجتمع الدوليّ على حسب تعبيرهم.

يُظهر الكلام السابق أنّ ما تقدم يمكن اعتباره جزءًا من المعرفة المتاحة عن الثورة. ولا يمكن حصر العناصر المسببة بالثورة بستة، كما أنّ اعتبار الثورة حدثًا واحدًا يحتاج إلى مراجعة، فالثورة، حتى من المنظور الغربيّ، لا يمكن تصويرها بهذا الشكل الصارم، فهي قد تتضمن سلسلة من المراحل والتقنيات التي قد تتطور لتصبح ثورة، بدءًا من الإضرابات العامة إلى الانقلابات، إلى الحروب الثوريّة، وحتى الأحداث السلميّة مثل الأمور المطلبيّة، وما يسمى بالثورة البرجوازيّة/ الديمقراطيّة كما يصفها (ليون تروتسكي)، والمفاوضات. ومع ذلك لا يمكن حجب اسم الثورة، فهي ترتبط بأهدافها، بالتالي: "تستمر الثورة حتى يتم تحقيق أهدافها النهائيّة"[1]. على هذا الأساس تُصبح حرب العصابات وأفعال المقاومة جزءًا من الثورة: «لا يوجد سبب للنظر في حرب العصابات بشكل منفصل عن السياسة الوطنيّة»[2]. كما أنّ الثورة لا تسير بشكل خطّي،

1 - T.H, Greene: Comparative revolutionary movements: search for theory and justice p14.

2 - M. Zedong: Collected writings of Chairman Mao, Volume 3, 2009a: 5.

فهـي تعرف فترات مدّ وجزر، حيث ورد: «عندما يتقدم العـدو نتراجع، وإذا كانت قوات العدو أضعـف من قواتنا، فلـن يجرؤ على التقدم ... وعندما يتراجع العدو نتابع»[1]. مما سـبق يمكن استنتاج عنصرين آخرين يجب إضافتهما على ما أورده (كوهان):

- الثورات تتأرجح عمليًا بين مدّ وجزر.
- نادرًا ما تكون الثورات أحداثًا منفردة؛ إنها عمليات وتحتاج إلى وقت لتحقيق أهدافها.

جرى التركيز في دراسة الثورات على نمط واحد منها، وهو التجارب التي جرت في المجتمعات الأوروبيّـة أو المتأثرة بها، فهي جميعها جـرت في بيئة ثقافيّة واحدة، وهذا يجعل إمكانيّة تعميم النتائـج التي تتوصل إليهـا عمليّة في غاية الصعوبة. كما أنّ هناك أيضًا مشـكلة تتعلق بالعيّنات التي تؤخذ كأمثلة دالة، فمعظم الدراسات ذهبت باتجاه الثورات التي حققت نجاحات، ولكنّها تناسـت عددًا لا يحصى من الثورات غير المكتملة أو الثورات الفاشلة التي، وفقًا لـ(غرين)[2]، إذا جرت دراستها، يمكن أن تسهم، ليس فقط في دراسة الثورة كعمليّة، ولكن أيضًا في حقيقة أنه يجب فهم الثورة على طول الطريق باعتبارها خطوط سلسلة متصلة من أنماط السلوك الجماعي.

لذلك «الثورة» بالنسـبة للإمام (الخامنئي)، تنطلـق من مجموعة من المبادئ الكبرى، التي تحكم حركتها، وتسير بها نحو غاياتها النهائيّة، بعضها يتعلق في كيفيّة بناء الإنسان الثوري، وتقوم على الأسس الآتية:

١ - بُعد التدين والمعنويّة:

الثورة الإسلاميّة التي خطّت لنفسها منهجًا جديدًا أعادت فعاليّة الدين في الواقع الاجتماعيّ، وجعلتـه قاعدة الحركة من أجل قيام مجتمع العدل على أسـس إلهيّة، لذلك عملت على تفعيل

1 - Ibid, 2009b: 11.

2 - T.H. Greene, Comparative revolutionary movements: search for theory and justice, p14.

قيمه بين الناس، عبر توسيع رقعة المعتقدات والمبتنيات الدينيّة لديهم؛ «فبعد أن تركزت السياسة السلطويّة والنظام السلطوي الدوليّ على محو الدين والمعنويات بشكل كامل عن حياة الإنسانيّة، وجعل المجتمع البشريّ مجتمعًا معدمًا دينيًا وإيمانيًا وعقائديًا، جاء هذا العهد الجديد ليقوم بما يعكس تلك السياسات تمامًا. فلم تعد الشعوب للتمسك بالمعتقدات الدينيّة في إيران وحدها أو الدول الإسلاميّة بل تنامى الاعتقاد الديني والإيمان المعنوي عالميًا في أوساط المجتمعات التي قضت عشرات من السنين في أجواء ملؤها العداء للدين»[1]. فالثورة جعلت من خطّ النبوة منهجًا: «الإمام القائد الخميني قُدِّسَ سِرُّه انتهج في التخطيط لهذه الثورة، وفي بلورة النظام السياسيّ على أُسسها -أي إقامة حكومة ونظام الجمهوريّة الإسلاميّة- بفضل اللّه ورعايته، نهجًا كنهج الأنبياء والأولياء المرتبطين بمصدر الغيب. وهذا يعزى إلى محبة الإمام للقرآن، ولكونه تلميذًا في مدرسة القرآن، ولأُنسه بالقرآن، ولأنّه كان يستعين به وقد جعل منه منهجًا لحياته، وهذه واحدة من النتائج والانعكاسات الكبرى والباهرة لتلك الحقيقة»[2].

من خلال هذه الرؤية، الثورة ليست بداية جديدة، تقوم على مبدأ القطع مع الماضي، إنّما هي جزءٌ من حركة النبوة في التاريخ من (آدم) عليه السلام إلى النبيّ الخاتم، فالثورة الإسلاميّة هي حركة، وإن سعت للتقدم، ولكنّها في الوقت نفسه حركة ترتبط بالمقصد الإلهي من الوجود الإنسانيّ المرتبط بالخلافة الإلهيّة التي تنطبق مع فطرة الإنسان، لذلك: «كلما ازدادت المعنويات عمقًا وصفاءً ونقاءً وانسجامًا مع فطرة الإنسان ازدادت جاذبيته بالنسبة للشعوب»[3].

والبعد الإيماني المنشدّ إلى النّصّ الدينيّ والتوحيد وحركة النبوة والإمامة، امتزج بالمعنويات، وهذا المزج بينهما وبين السياسة، نلاحظه عند الإمام (الخميني) قُدِّسَ سِرُّه: «فإنّ الإمام المجسّد

١ - كلمة القائد في مراسيم الذكرى الأولى لرحيل الإمام الخميني قدس سره، ١٣٦٩/٣/١٤.
٢ - الذكرى السنويّة الثامنة لرحيل الإمام الخميني قدس سره، ٢٨ محرم ١٤١٨هـ. ق، طهران.
٣ - الذكرى السنويّة الثامنة لرحيل الإمام الخميني قدس سره، ٢٨ محرم ١٤١٨هـ. ق، طهران.

لخطّه السياسي كان حاويًا للعرفان والسياسة معًا، وكان يسعى إلى تطبيقهما في الواقع الخارجي من خلال جهاده، فكان العرفان يشكّل نواة سلوكه، وكانت جميع مواقفه تدور حول محوريّة الله عزّ وجل، حيث كان مؤمنًا بإرادته التشريعيّة وموقنًا بإرادته التكوينيّة، وكان عالمًا بأنّ الذي يسعى إلى تحقيق الشريعة الإلهيّة سيحظى بمساعدة قوانين الخليقة»[1]. فقد كان الإمام موقنًا بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٧]، فكانت «الشريعة مهدًا وأعلام هداية لحركته التي قام بها من أجل إسعاد البلاد وأهلها بهدي الشريعة الإسلاميّة، متخذًا من التكليف الإلهي مفتاح سعادة يوصله إلى أهدافه المنشودة، ومن هنا كانت جملته المعروفة: «نحن نعمل من أجل أداء الواجب، ولسنا معنيين بتحقيق النصر»[2]. وهذه السياسة التي تنطلق من الالتزام الدينيّ والمعنويّة، تقع على طرف نقيض من النظرة الغربيّة، التي جعلت المعياريّة في المنفعة، وقدمت موضوعة الثورة باعتبارها حركة ذات طبيعة سلطويّة، تنتهي بتحوّلٍ في مؤسسات السلطات السياسيّة، واستبدال طبقة حاكمة بأخرى، في حين أن ما نراه، من خلال ما قدمه الإمام، هو أن التكليف يصبح هو الأصل بمعزل عن النتائج المرتبطة به.

٢ - العقلانيّة:

ليست العقلانيّة النفعيّة التي تكلّم عنها الفكر الغربي، إنّما هي تلك العقلانيّة التي ترتبط بالنظرة الكلّيّة للإسلام، والتي ترتبط بالأحكام الإلهيّة، فالعقل هو من الأمور التي حثّ عليها القرآن واعتبرها من المعايير الأساسيّة لكلّ فعل إنسانيّ: «إنّ من الأشياء التي يعلّمنا إياها القرآن والهداية الإلهيّة هي اتّباع حكم العقل الإنسانيّ [...] أي اتّباع ما يحكم به العقل السليم»[3]. وهي

١ - الذكرى السنويّة الثامنة لرحيل الإمام الخميني قدس سره، ٢٨ محرم ١٤١٨هـ. ق، طهران.
٢ - الذكرى السنويّة الثامنة لرحيل الإمام الخميني قدس سره، ٢٨ محرم ١٤١٨هـ. ق، طهران.
٣ - الإمام الخامنئي: الثقافة: ماهيّتها، مسارها، وتحوّلاتها، ص١٤١.

من الأمور التي عمل بها النبيّ، وجعلها قاعدة في حياة المسلمين: «إنّ تلك الأسس والأركان التي وضعها النبيّ أركان الإيمان والعقلانيّة والجهاد والعزّة هي الأركان الأساسيّة للمجتمع الإسلاميّ. فلنقوِّ إيماننا في قلوبنا وفي عملنا، فلنستفد من العقل البشريّ الذي هو هديّة إلهيّة كبرى للبشر»[1].

والعقلانيّة التي يتكلم عنها الإمام ليست عقلانيّة فرديّة نفعيّة -وإن كان على الفرد أن يكون عقلانيًا- إنّما هي عقلانيّة تتبناها الجماعة، وتجعلها حجر الرحى في كلّ خطوة تخطوها، لذلك: «لا مناص لإيقاظ العقل الجمعيّ سوى التشاور والمناظرة، ومن المستحيل أو المستصعب إنتاج العلم والفكر الدينيّ وبالتالي بناء الحضارة وتشييد المجتمع دون توفير مناخ من النقد البنّاء وحريّة التعبير والحوار الحرّ بدعم من الحكومة الإسلاميّة وبتوجيه العلماء وذوي الرأي والحُجة»[2].

على الأساس السابق يصبح العلم وطلبه قاعدة حياة الإنسان والمسلم، والإسلام «يأمرنا[...]، ويوصينا العقل على نحو مستقل أيضًا، أن نتعلم أي شيء جيد وجميل وذي قيمة أينما وجدناه وأن نستفيد منه. العبارات المعروفة المتداولة على ألسنة الناس عندنا «اطلبوا العلم ولو بالصين» أو «انظر إلى ما قيل ولا تنظر إلى من قال»»[3]، لذلك على الثورة أن: «تهتم بحامية العقل والمنطق في اتخاذ القرارات والتحركات»[4].

٣ - حضور الشعب في الساحات:

الثورة الإسلاميّة انطلقت من «الإيمان الراسخ والصادق بدور الأمة، إذ كانت للهويّة الإنسانيّة

١ - الإمام الخامنئي: تحديد الأهداف الثقافيّة، ترجمة: عباس نور الدين، ص٢٠٨.
٢ - الإمام الخامنئي: تحديد الأهداف الثقافيّة، ترجمة: عباس نور الدين، ص٢١٨.
٣ - الإمام الخامنئي: موانع التنمية الثقافيّة، ص٧٣.
٤ - الإمام الخامنئي في لقاء وزير ومسؤولي وزارة الخارجيّة ورؤساء بعثات جمهوريّة إيران الإسلاميّة في الخارج، ١٩٨٩/٠٨/٢٢.

في منهج الإمام السـياسي قيمتها وكرامتها وقدرتها على التأثير والإبداع، ونتيجة لذلك كان يرى ضرورة أن تلعب آراء الناس دورًا أساسـيًا في تقرير مصير المجتمع. وعليه، فإن الديمقراطيّة في منهج الإمام -المنبثق من صُلب الإسـلام- هي الديمقراطيّة، وليسـت مجرد شعار خلاّب خادع كما هو حال الديمقراطيّة الأمريكيّة وما شاكلها، فالشعب هو الذي يختار طريقه بإرادته وإيمانه ورأيه»[1]. والديمقراطيّة التي يتحدث عنها الإمام، في هذا الموضع، هي تلك التي تحرر الإنسان من كلّ نوع من أنواع العبوديّة، وتجعله عابدًا حرًّا لله، مساويًا للآخرين بالكرامة الإنسانيّة، والتي كانت سـبب إناطة الخلافة إليه. وفي هذا الجانب نلاحظ إنّ الإمـام (الخامنئي) يركز على دور الشـعب في صناعة ثورته وتقدّمها. يقول الإمام: «إنّ حاكميّة الشـعب في النظام الإسلامي هي حاكميّة الشـعب الدينيّة، أي المرتكزة على رأي الإسلام، وهي ليست عقدًا عرفيًا، بل من صلب الرؤية الإسـلاميّة الرجوع إلى رأي الأمة وإرادتها حيثـما اقتضى الرجوع، ولذا فهي تبلور التزامًا إسلاميًا، وليس على غرار الدول الديمقراطيّة حيث تلتزم بعقد عرفي يسهل نكثه، فحاكميّة الشعب في نظام الجمهوريّة الإسـلاميّة تكليف دينيّ، والمسؤولون يقيّدهم تعهّد ديني في الحفاظ على هذه الخصيصة، ويتعيّن عليهم تقديم الجواب عنه أمام الله سبحانه وتعالى. وهذا مبدأ كبير من مبادئ إمامنا العظيم»[2].

٤ - الرؤية العالميّة والشموليّة:

هذه الخاصيّة تنطلق من خاصيّة الإسـلام العالميّة ومنهجه «السياسي في الإسلام بنشر فكره الصحيح وكلامه الجديد في أذهان الناس، ويترك عطره فوّاحًا في الأجواء لتتنشّـقه حاسـة شـمٍّ

١ - الإمام الخامنئي في لقاء وزير ومسؤولي وزارة الخارجيّة ورؤساء بعثات جمهوريّة إيران الإسلاميّة في الخارج، ١٩٨٩/٠٨/٢٢.

٢ - الذكرى السنويّة الثالثة عشرة لرحيل الإمام الخميني قدس سره، ٢٢ ربيع الأول ١٤٢٣هـ ـ طهران، حرم الإمام الخميني.

سليمة»[1]. فالإمام (الخميني) «لم يقتصر نداؤه إلى الشعب الإيراني فقط، وإنما تعدّاه إلى جميع الأمم؛ لأن هذا المنهج كان يريد الخير والاستقلال والعزة والإيمان لجميع الأمة الإسلاميّة، بل وكافة البشريّة، وهذه هي الرسالة الملقاة على عاتق المسلم»[2].

والأمر السابق يجعل مفهوم الثورة يتعدى كونه مصطلحًا، ينشغل بقضيّة التحوّل السياسيّ، ليصبح دالًّا على حالة تحرريّة شاملة للإنسان ببعديه الفردي والاجتماعيّ، تقوم على أسس قيميّة تنطلق من البعد الرساليّ للإسلام، الذي يصلح لكلّ زمان ومكان، لأنّها تتناسب مع فطرته: «كانت لثورتنا الكبرى خصائصها التي تداولتها تحليلات شعبنا والعارفين بثورتنا. فللمرة الأولى تُشاهد في ثورةٍ مفاهيم مثل: الالتزام بالإسلام، إقامة حكومة إسلاميّة، إعادة النظر في مفاهيم السياسة العالميّة من قبيل الحريّة والاستقلال والعدالة الاجتماعيّة وغيرها، والتحرك نحو عالم ومجتمع قائم على أساس القيم الإسلاميّة»[3]. لذلك، هذه الشموليّة والعالميّة لا تخضع لظروف الزمان والمكان: «يمُكن افتراض مدّة زمنيّة معيّنة وتاريخ انتهاء صلاحيّة لكلّ شيء، إلا أنّ الشعارات العالميّة لهذه الثورة الدينيّة مستثناة من هذه القاعدة، فهي لن تكون عديمة التأثير والفائدة أبدًا، لأنّها متجذرّة في فطرة الإنسان في جميع العصور. فالحريّة والأخلاق والمعنوية والعدالة والاستقلال والعزّة والعقلانيّة والأخوّة لا يختص أيّ منها بجيل أو مجتمع دون غيره، حتّى يتألق ويزدهر في حقبة ويأفل في أُخرى. لا يمكن أبدًا تصوّر شعب يعرض عن هذه الآفاق المباركة. ومتى ما حصلت حالة إعراض أو تبرّم كان السبب إعراض المسؤولين عن هذه القيم الدينيّة وليس الالتزام بها والسعي لتحقيقها وتطبيقها»[4].

---

١ - الذكرى السنويّة الثامنة لرحيل الإمام الخميني قدس سره، ٢٨ محرم ١٤١٨هـ. ق، طهران.

٢ - الذكرى السنويّة الثامنة لرحيل الإمام الخميني قدس سره، المكان والزمان: ٢٨ محرم ١٤١٨هـ. ق، طهران.

٣ - كلمة القائد في مراسيم الذكرى الأولى لرحيل الإمام الخميني "ره" ١٣٦٩/٣/١٤.

٤ - كلمة الإمام الخامنئي في لقاء متلفز مع أهالي محافظة أذربيجان الشرقيّة بمناسبة ذكرى انتفاضة أهالي تبريز (١٩٧٨/٢/١٨)، ٢٠٢١./٢/١٧.

عـلى هذا الأسـاس، كانت الثورة في إيـران بقعة ضوء لشـعوب العالم كافـة، لذلك: «يرى المسلمون في كافة أنحاء العالم والشباب والمفكرون والنخب المسلمة أنّ الفضل في فتوحاتهم الفكريّة في الميادين السياسـيّة يعود إلى مدرسـة الإمام الفكريّة، بل لم يقتصر ذلك على العالم الإسـلاميّ [...] إنما تعـدّاه إلى جميع الأمـم؛ لأنّ هذا المنهـج كان يريد الخير والاسـتقلال والعزة والإيمان لجميع الأمة الإسـلاميّة، بل وكافة البشريّة، وهذه هي الرسالة الملقاة على عاتق المسلم»[1]. فالإمام (الخمينيّ) قدس سره، خاطب فطرة الشعوب، لذلك لم يستخدم وسائل ماديّة لتعميـم الثـورة، وهذا ما يجعل «الفارق بين الإمام وذلك الذي يحاول أن يدّعي لنفسـه رسـالة عالميّة، يكمن في أنّ الإمام لا يريد إجبار الناس على اعتناق منهجه الفكري بالأسلحة والدبابات والمدافع وممارسة التعذيب، كما هو حال الأمريكيين؛ حيث يحاولون إرساء الديمقراطيّة بإلقاء القنابل على هيروشيما، وإثارة الانقلابات العسكريّة في أمريكا اللاتينيّة وأفريقيا، وها هي حاليًا تمارس السياسة نفسها في الشرق الأوسط»[2].

٥ - صيانة القيم:

تجلّى هذا البعد من خلال تبنّي الإمام مسـألة ولاية الفقيه: «وقد حاول الكثير منذ بداية الثورة الإسـلاميّة وانتصارها تعريف ولاية الفقيه بشكل خاطئ وسـيئ ومخالف للواقع [...] بوصفها الحكومـة الفرديّة المطلقـة، وهذا كذب؛ إذ إنّ ولايـة الفقيه -وفقًا لقانونها الأسـاسي- لا تنفي مسؤوليات الأركان المسـؤولة في الدولة. فليس لولاية الفقيه سوى دور هندسة النظام، وحفظ مسـيرته من الانحراف، وعليه فإنّ ولاية الفقيه ليسـت مجرد منصب شكليّ، وقد يكون ناصحًا أحيانًـا دون أن يكـون ملزمًا، كما أراد بعضٌ إشـاعته في مطلع الثورة. كما أنـه لا يضطلع بدور

١ - الذكرى السنويّة الثامنة لرحيل الإمام الخميني قدس سره، ٢٨ محرم ١٤١٨هـ. ق، طهران.
٢ - الذكرى السنويّة الثامنة لرحيل الإمام الخميني قدس سره، ٢٨ محرم ١٤١٨هـ. ق، طهران.

تنفيذي في أركان الدولة، فالقوى التقنينيّة والتنفيذيّة والقضائيّة تمارس دورها بشكل مستقل، وتكون مسؤولة عن ممارساتها، ولولاية الفقيه دور الإشراف على هذه المجموعة المعقّدة؛ بغيّة صيانتها من الانحراف عن الأهداف والقيم»[1].

فالولاية تنظر إلى القيم التي تحكم حركة الإنسان، وهذا ينطلق من الإسلام وفلسفته السياسيّة، التي تقوم على المعنويّة، «خلافًا للمعايير في النظم الرأسماليّة، فإنها ماديّة محضة. فالمعيار في ولاية الفقيه يقوم على العلم والتقوى والدراية، والعلم يستتبع وعيًا، والتقوى شجاعة، والدراية مصالح البلاد وشعبها»[2].

إنّ هدف الثورة الرئيس هو تقديم النموذج المثالي، «حيث الرفاه المادّي إلى جانب العدالة الاجتماعيّة [... و] الرفاه الماديّ لا يعني إشاعة ثقافة الاستهلاك التي تحاول الثقافة الغربيّة الإيحاء بها؛ إنّ المعنى الحقيقيّ للرفاه هو البناء، استخراج المعادن واستثمار المصادر الطبيعيّة، وتوفير السلامة والأمن الاجتماعيّ، وإنعاش التجارة وتشجيع الإنتاج الوطني من خلال اعتماد الطاقات الإنسانيّة الذاتيّة، والارتقاء بالقابليات والطاقات إلى المستوى المطلوب، والارتفاع بالمستوى الثقافي والعلمي العام إلى درجات عليا، ومكافحة كلّ مظاهر الفقر والتخلف. وإنّ العدالة الاجتماعيّة لا تعني سوى ردم الهوّة السحيقة بين مختلف الطبقات، والقضاء على كلّ مظاهر الحرمان، والقيام بمبادرة جادة لإصلاح أوضاع المستضعفين والمحرومين والحفاة حماة الثورة الحقيقيين. إضافة إلى تشريع القوانين القضائيّة اللازمة لإقرار العدالة والأمن الاجتماعيين، ومكافحة كلّ المظاهر العدوانيّة وهضم حقوق المظلومين، والوصول بالقضاء إلى المرحلة التي يكون فيها ملاذًا لكلّ من تُهضم حقوقه أو يعتدى على حقه في حياة آمنة ومطمئنة»[3].

---

١ - الذكرى السنويّة الثامنة لرحيل الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّه، ٢٨ محرم ١٤١٨هـ. ق، طهران.

٢ - المناسبة: الذكرى الخامسة عشرة لرحيل الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّه، ١٥ خرداد ١٣٨٣، طهران، الحضور: المشاركون في ذكرى رحيل الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّه.

٣ - الثورة والنظام الإسلاميّ في كلمات الإمام السيد علي الخامنئي، ص ص٢٠٤-٢٠٥.

القيم التي عملت عليها الثورة هي تلك التي تنطلق من خط النبوة والإمامة: «إنّ إمامنا الراحل -ولكي يجدّد حياة الإسلام- اتّبع بكل دقة ذلك الطريق الذي طواه الرسول الأكرم، أي طريق الثورة... ذلك أنّ الحركة مبدأ في الثورة؛ الحركة الهادفة المدروسة المتصلة، والتي لا تعرف الكلل والملل والمترعة بالإيمان والإخلاص»[1]. وهي لا تكتفي بالتنظير، إنمّا هي تسعى باتجاه انعكاس القيم في العمل: «في أتون الثورة لا يكتفى بالكلام والكتابة والتوضيح، وإنمّا يُعدّ طيّ المواقع خندقًا خندقًا للوصول إلى الهدف مبدأ ومحورًا لها، أما الكلام والكتابة فهما يخدمان هذه الحركة لكي تصل إلى هدفها وهو تحكيم دين الله والقضاء على القوى الشيطانيّة للطاغوت»[2].

وإذا نظرنا إلى الثورة نراها تحمل في طياتها الخصائص الآتية:

- **الهدفيّة السياسيّة:** أي الإدارة الحازمة لتحكيم دين الله، وسحب القدرة من يد الشياطين الظلَمة الفاسدين وإقامة الحاكميّة والقدرة السياسيّة للمجتمع على أساس من القيم الإسلاميّة.
- **استمداد القوى الإنسانيّة:** تعتمد الثورة، لتحقيق أهدافها، على الجماهير المؤمنة الواعيّة والمضّحية، لا من الأحزاب والتجمعات والتكتلات السياسيّة، فكان القائد الحكيم يبحث عن عوامل النصر بعد التوكل على الله بين القوى الشعبيّة العارمة ويعمل خلال جهاده طوال خمسة عشر عامًا على تكوين جند الرحمن من عباد الله وزجهم في زحمة الصراع في سبيل الله.
- **وضوح الخطوط العامة الأصيلة للمجتمع المطلوب أمام الجميع:** وتعني استقرار الشريعة الإسلاميّة المتضمنة للعدل الاجتماعيّ والاستقلال السياسيّ والغنى الاقتصادي والتكامل العلميّ والأخلاق، وطرح شعار: لا شرقيّة ولا غربيّة جمهوريّة

١ - الثورة والنظام الإسلاميّ في كلمات الإمام السيد علي الخامنئي، ص٢١٤.
٢ - الثورة والنظام الإسلاميّ في كلمات الإمام السيد علي الخامنئي، ص٢١٤.

إسلاميّة، ويعني التبديل الواقعي والشامل لأسس الحياة الجاهليّة إلى أسس إسلاميّة قويمة.

- **القيادة الحكيمة المتفقهة:** القائد الحكيم والفقيه، وهو العبد الصالح والنموذج الإسلاميّ، كان في طليعة هذه الحركة إيمانًا وعلمًا، وقد حوّل الإيمان روحه إلى روح كبرى استطاعت أن تترع القلوب الفارغة من الإيمان والأوعية الخالية وتملأها من فيضان إيمانها في الساحة العمليّة واختراق شعاع إيمانها الجُدر السميكة الرفيعة لحالة اليأس وعدم الإيمان.
- **صدق القيادة وثباتها:** صدق القائد وصفائه ووعيه وقفت أمام اعوجاج ومساومة العدو، وبالتالي لا يوجد مقتضى للانحراف عن الهدف، وبذلك اتجه صراط الثورة المستقيم نحو أهدافه بكل ثقة واستقامة ودونما أيّ اعوجاج[1].

خاتمة:

يختلف تعريف الإمام (الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّه للثورة عن التعريفات التي قُدّمت سابقًا؛ فهو لم يعمل عليه باعتباره مجرد تعبير لغويّ، يؤسس في اللغة لوصف واقعة محددة، فإذا كان هذا البعد مهمًّا كتعبير يستخدمه الإنسان لإيصال المعنى للآخرين، ولكن يُصبح بلا قيمة إذا أُفرِغ من أبعاده الدينيّة والإنسانيّة، ويتحوّل إلى مجرد لفظ قاموسيّ يمكن الرجوع إليه، لكنّه يفتقد الطاقة الحيويّة التي تدفع باتجاه الحياة، كي يتحوّل إلى وسيلة يستخدمها الثوار والمقاومون من أجل تغيير الواقع بآخر، ويستجيب لفطرة الإنسان ونزوعه باتجاه كماله الخاص وكماله الاجتماعي، ليس على مستوى الآني والحياتيّ، وإنّما في الحياة الأخرى،

١ - الثورة والنظام الإسلاميّ في كلمات الإمام السيد علي الخامنئي، ص ص٢١٥-٢١٦.

فالثورة لديه حراك دائم وسيرورة، تدفع الإنسان بالاتجاه الأتمّ، لذلك لا تعرف المرحليّة ولا تستقر على وضع.

الثورة عند الإمام ليست مفهومًا مستقرًا، يمكن أن يُستخدم في الأدبيات السياسيّة للتعبير عن حراك محدد، فهو رأى فيها ما يتعدى ذاك باتجاه ربطها بحركة الإنسان في التاريخ انطلاقًا من رؤية قرآنيّة والتزام بالإسلام المحمديّ الأصيل، الذي رأى فيه بديلاً حضاريًا، يقدم للإنسانيّة حلولاً تنقذه من فقدان المعنى والعدميّة، وتقوده باتجاه بناء مجتمعات العدل الإلهي وتخليصها من جميع أنواع الاستلابات للقوى المستكبرة داخليًا عبر الأنظمة الاستبدادية وخارجيًا عبر الطاغوت؛ الذي يتحكم بالبشريّة تحت عناوين المجتمع الدوليّ والشعارات الفارغة، التي تحمل في طياتها مقولات إنسانيّة فضفاضة تتخلى عنها عند تضاربها مع مصالحها. الثورة جزءٌ من حركة النبوة في التاريخ من (آدم) عليه السلام إلى النبيّ الخاتم (محمد) صلى الله عليه وآله وسلم وصولاً إلى الولاية، فهي حركة دائمة وإن كان التقدم الدائم هدفًا لها، ولكنّها، في الوقت نفسه، حركة ترتبط بالمقصد الإلهي من وجود الإنسان المتمثل بالخلافة الإلهيّة.

الثورة عند الإمام ليست بداية جديدة، إنّها استمرار، لذلك تحمل مسؤوليّة الرسالة الإلهيّة، وما تحتويه من قيم دينيّة وإنسانيّة، وتمتاز بالعالميّة والشموليّة، وهذه الخاصيّة تتطابق مع الإسلام ومنهجه بنشر فكره الصحيح وكلامه الجديد في أذهان الناس، وهي تحمل في طياتها هدف بناء مجتمع العدل المنطلق من الالتزام الدينيّ والمعنويّ على أرضيّة التقوى والعقلانيّة، والثانية تصبح الموجّه لكلّ موقف يتخذه، في حين أنّ الأولى تعمل على عقلنة الإنسان في اتخاذ مواقفه. كما أنّ العقلانيّة، التي تحدث عنها الإمام، ليست عقلانيّة فرديّة نفعيّة -وإن كان على الفرد أن يكون عقلانيًا- إنّما هي عقلانيّة تتبناها الجماعة، وتجعلها حجر الرحى في كلّ خطوة تخطوها.

الثورة عند الإمام نموذج مثالي، تعمل على الرفاه وتوفير السلامة والأمن الاجتماعيّ، وتفعّل الطاقات الإنسانيّة الذاتيّة، وترتقي بالقابليات والطاقات إلى المستوى المطلوب، وترتفع

بالمستوى الثقافي والعلمي العام إلى درجات عليا، وتكافح كلّ مظاهر الفقر والتخلف، وتخلّص مـن التبعيّة، إنّها ذلك الطريق الذي طواه الرسـول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، إنّها الحركة الهادفة المدروسـة المتصلة، والتي لا تعرف الكلل والملل والمترعة بالإيمان والإخلاص، وهي لا تكتفي بالتنظير، إنّما تسعى باتجاه انعكاس القيم في العمل، لكي تؤسس للحياة الطيبة.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربيّة

- ابتسام محمود: الثورة المجيدة ١٦٨٨ وأثرها على الأوضاع السياسيّة والاقتصادية في بريطانيا، مجلة سرّ من رأى، مج٥، ع١٥، تموز ٢٠٠٩.
- ابن منظور: لسان العرب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٢.
- أحمد الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، ط٢، القاهرة، دار المعارف.
- الإمام الخامنئي: الثقافة: ماهيّتها، مسارها، وتحوّلاتها، ترجمة: عباس نور الدين، بيروت، دار المعارف الحكميّة، ٢٠١٦.
- توماس. س كون: بنية الثورات العلميّة، ترجمة: حيدر حاج إسماعيل، بيروت، المنظمة العربيّة للترجمة، ٢٠٠٧.
- الثورة والنظام الإسلاميّ في كلمات الإمام السيد علي (الخامنئي)، ترجمة وإعداد: دار الولاية ١٤٢٢ هـ. ق.
- جمال الدين الأفغاني: العروة الوثقى، القاهرة، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٥.
- حنة أرندت: في الثورة، ترجمة: عطا عبد الوهاب، ومراجعة: رامز بورسلان، بيروت، المنظمة العربيّة للترجمة، ٢٠٠٨.
- روح الله الخميني: الوصيّة الخالدة، طهران، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني (قدس سره)، ٢٠١٤.
- روحي الخالدي: الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة، القاهرة، دار الهنداوي، ٢٠١٢.
- سالم يفوت: أبستمولوجيا العلم الحديث، الدار البيضاء، دار توبقال، ٢٠٠٨.

- عبـد الحمن بن خلدون: المقدمة، تحقيق: عبد الله محمود الدرويش، دمشـق، دار يعرب، ٢٠٠٤.
- عبد الرحمن الكواكبي: طبائع الاسـتبداد ومصارع الاستعباد، تحقيق ودراسة: محمّد جمال طحان، بيروت، النفائس، ١٩٩٥.
- عـلي الخامنئي: تحديد الأهداف الثقافيّة، ترجمة: عبـاس نور الدين، بيروت، دار المعارف الحكميّة، ٢٠١٦.
- علي الخامنئـي: موانع التنميـة الثقافيّة، ترجمة: عبـاس نور الدين، بـيروت، دار المعارف الحكميّة، ٢٠١٦.
- علي عبود المحمداوي: الماركسيّة الغربيّة وما بعدها، الجزائر، منشورات الاختلاف، ٢٠١٤.
- محمد باقر الصدر: المدرسة القرآنيّة، تراث الشهيد الصدر، المؤتمر العالميّ للشهيد الصدر، مج١٩.
- محمـد بن يعقوب بن محمد بـن إبراهيم الفيروز آبادي: القامـوس المحيط، القاهرة، شركة القدس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩.
- محمد حسـين النائيني: تنبيه الأمة وتنزيه الملـة، ترجمة: عبد الكريم آل نجف، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ٢٠١٢.
- محمد حسـين النائيني: تنبيه الأمة وتنزيه الملة، ترجمة: مشتاق الحلو، بيروت، دار التنوير، ٢٠١٤.
- محمد عابد الجابري: مدخل إلى فلسـفة العلوم، ترجمـة: خليل أحمد خليل، دار الطليعة، لبنان، ط١، ١٩٨٨
- مرتضى مطهري: الثورة والدولة، بيروت، دار الإرشاد، ٢٠٠٩.
- ول ديورانت: قصة الفلسـفة، ترجمة: فتح الله محمد المشعشـع، بيروت، مكتبة المعارف، ١٩٨٨.

المصادر والمراجع الأجنبيّة

- E.S. Pettee: The process of revolution, Harper, New York. 1938.
- T.H, Greene: Comparative revolutionary movements: search for theory and justice, 3rd ed. Prentice Hall, Englewood Cliffs, N.J..1990.
- M. Zedong: Collected writings of Chairman Mao, Volume 3: On policy, practice and contradiction, El Paso Norte, El Paso TX.
- Charles Debbash & Yves Dauder: Lexique de politique, Dalloz, Paris, 1988,pp365366-.
- V.A. Arslanian. Beyond revolution: Ending lawlessness impunity during revolutionary periods, Boston College International and Comparative Law Review.

ج- المواقع الإلكترونيّة

- https://www.cnrtl.fr/definition/r%C3%A9volution
- https://arabic.khamenei.ir/news/6441
- https://alaalam.org/ar/society-and-culture-ar/item/707676290518-.